تصدير

توجد اتحادات ورابطات للأدباء والكتاب فى غالب أقطار الوطن العربى يجمع بينها اتحاد عام تسييره أمانة عامة ومكتب دائم . ولم يكن الاتحاد العام هو الجامع الوحيد بين مختلف الاتحادات . فهنالك العلاقات الثنائية التى يمكن أن تلعب دورا لا يقل أهمية عن دور الاتحاد العام . وتؤطر تلك العلاقات اتفاقات ثنائية تحدد فيها أوجه النشاط التى يمكن للاتحادين أن يقوما بها . ويدعو الاتحاد العام الى تكثيف تلك الاتصالات . ويشجع على ايجادها وتنميتها . وما المانع من ذلك ؟ السنا نقول : إننا أمة واحدة عملت الملابسات على تجزئتها ، وتناضل الطموحات فى سبيل توحيدها . ولعل إمكانات العمل وصنوفه فى المجال الثنائى أيسر تناولا وأوفر نجاحا خاصة بين الاقطار « المتجاورة » التى جمعتها الظروف وصهرتها الاحداث فكان جذع مشترك حقيقى ثابت يمكن أن يكون نقطة ارتكاز متى سلم القصد ، ويمكن أن يكون بؤرة تصدع اذا تغلبت « الانية » فصد الاستحواذ على التركة، وإقصاء كل مستحق من ذلك التراث .

نسوق هذه المعانى بمناسبة ما تم بين الكتاب التونسيين والكتاب الجزائريين عندما انعقد ملتقى ابن رشيق السادس للنقد الادبى فى مدينة المسيلة بعد أن عقد سابقا خمس دورات فى مدينة القيروان على أساس أن يعقد مستقبلا بالتناوب بين المسيلة (مسقط رأس ابن رشيق) وبين القيروان (مدينة استقراره ونبوغه) . وهكذا يعيد ابن رشيق مسيرته جامعا لا مفرقا ، وواصلا لا قاطعا . والى جانب ذلك أعلن الملتقى عن دعوة المدينتين الى توأمة بينهما تقوم بها البلديتان ، كما اعلن عن مسابقة قومية فى النقد

الادبى تحمل اسم ان رشيق مفتوحة أمام كل طاقات الانتـاج والابـداع فى النقد الادبى ، هذا الميدان الذى ما يزال يشكـو النقص والتعثـر فى مختلف أنحاء الوطن العربى . وإنها لبادرة جديرة بالتنويه والتقدير لما نتوقعه من ايجابية ومردود على الساحة النقدية العربية فى مجالات لابداع الادبى قصة ومسرحية شعرا ونثرا . وإنها لمسؤولية تعهد بهـا الاتحـادان نرجـو لهـا التوفيـق والنجـاح .

« قصـص »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمـود بلعيـد

المتفقد

كان المتفقد سى عبد الجبار القسنطينى فى سيارة أجرة يبتسم ويقول محدثا نفسه : «تسلقت الجبل يا ثعلب واختبأت فيه منذ سنتين ، وتعتقد أنك عنئت وارتحت وابتعدت عنى ولا أتجرأ يوما وأصعد اليك !؟....»

وابتسم ثانية ....

وسى عبد الجبار يعرف المعلم سى المختار العلوينى حق المعرفة منذ زمن بعيد ، منذ ما يزيد على عشرين سنة ، يعرف أنه معلم قادر ذكى ، نادر الذكاء، والتلامذة يحبونه ، ويهابونه فى آن واحد ، ويعرف أنه خبيث ماكر كالثعلب تماما وكسول الى حد بعيد من الكسل ... وسبق ان تفقده فى الكاف ثم ابه قسور وحوش صفاية ثم الدهماني ..... ويعبس سى عبد الجبار ويحس بوخزة عندما يتذكر الدهمانى ..

ظهر الجبل على بعد عظيما فى لون الورد فى ذلك الصباح الباكر عندما طلعت الشمس وانقشع الضباب .... وكانت السيارة تسرع فى طريق مستقيم تحف به أشجار الكلاتوس يمينا وشمالا ..... وأشرق الصباح وعم النور وتألق ؛ وتعرف بعض المسافرين ببعضهم ، وجعلوا يتحدثون بابتهاج ، وابتسام وانشراح .... وراق السفر والسيارة تطوى الطريق طيا والجبل يقترب شيئا فشيئا ... لكن تابع سى عبد الجبار الحديث مع نفسه متهكما مبتسما وهو جالس خلف السائق ، منكب بجسمه الهائل البدين على ركبتيه ، مقرفص فى مقعده مسرح نظره عبر هناشير القمح والشعير المترامية ، المنشور هضابا وشبه هضاب ، منخفضة مرتفعة ، ممتدة حتى الافق ، قائلا : «هكذا اردت ان تصعد الجبل وتبتعد بعيدا وتهنأ بخبز الطابونة والعسل والجبن وحليب البقر وابتعاد المتفقد ، وكيف له أن يصعد الى هذا المكان المرتفع الوعر ..... البعيد عن كل أهل وعمران ... وهو المتفقد عبد الجبار القسنطينى يعمد

ويصعد اليك يا «دعبوكة» هكذا على حين غفلة ، ويتسلق جبلك عن غرة ... وسوف تمضى أطول يوم فى حياتك ويكون يوم الحساب ... وأمخضك كما تمخض الشكوة فى فصل الربيع .....» وينظر الى الجبل المنتصب فى آخر الطريق ويتابع «سوف أباغتك فى هذا الصباح الباكر وأكون أول من يقبل عليك ويصعد الى جحرك ويضبطك بعملة من عمائلك التى لا يحصى عددها .....»

دخل نسيم الصباح الباكر باردا نديا عندما فتح السائق بلور نافذته فاقشعر له الركاب ... ودخلت رائحة اشجار الجبل وفاحت ... لم يشعر سى عبد الجبار القسنطينى رغم ركوبه خلف السائق ، بقشعريرة ولا ببرد ، بل ارتاح للنسيم وانشرح له صدره ، فمع بدانته كان يرتدى معطفه البنى السميك الذى لم يفارقه منذ أكثر من عشرين سنة ... وعاد يفكر فى المعلم سى المختار العلوينى ، ويبتسم من جديد ...

... تغير الطريق فخفف السائق من سرعة سيارته وتشبث بعجلة السياقة ، وازداد انتباهه ، وابتدأت المنعرجات ... جعلت العجلات تئز وتعوى ... وشرعت السيارة تصعد الجبل بطيئة حذرة لاهثة ... تميل يسرة وتقترب من جنب الجبل حتى تكاد تحتك به ، وتميل يمنة وتندفع الى الشفير حتى تكاد تسقط فى الوادى ... عم السكوت داخل السيارة ... والسائق فى أكمل انتباهه وأشده ، يتحايل مع الجبل يدير عجلة السياقة بمهارة متوخيا أحيانا أسهل الطرق لقطع المنعرجات واجتيازها ...

فى حقيقة الامر خير سى العلوينى هكذا فى يوم من الايام أن يصعد الى هذا الجبل المرتفع الوعر ويعلم أبناءه .... بعيدا عن المدن ، عن القرى وحتى الدشر ، بعيدا عن الطرقات المعبدة . يعيش هانئا سعيدا بين كتبه وأوراقه وتلامذته بجانب المدرسة وأقرب حوش يبعد عنه كيلومترين أو ثلاثة .

مضت ساعة والسيارة تئز وتعوى ، تميل يمنة وتميل يسرة ، تصعد وتنزل وتبطىء ..... وأخيرا استوى الطريق ثم جعل ينحدر فاندفعت السيارة مهرولة فى أول الامر ثم استوت وأسرعت أكثر وعاد اليها نشاطها

كله وسرعتها كلها ... وجعلت أشجار مجهولة مختلفة الانواع والاشكال والحجم تحف بطريق ضيق لكنه مستقيم ...

وأخيرا ظهرت القرية على بعد جميلة بيضاء كحمامة ، خفف السائق من السرعة ... ثم عاد يسير ببطء عند شبه منعرجات ... ثم دخلت السيارة القرية ... والمحرك يهدر قويا معتدا ..... ووقفت فى شبه ساحة فخف اليها بعض سكان الجبل ، كانوا هناك يترقبون ... ، وجعلوا يتفرسون فى وجوه الركاب من خلال النوافذ .....

نزل سى عبد الجبار القسنطينى من السيارة بصعوبة ، ماسكا محفظته العتيقة الضخمة السوداء التى لم يفارقها ولم تفارقه منذ عشرين سنة أيضا ... بدأ السير بعسر ، فى أول الامر ، وقد أعياه السفر وخدر رجليه ... ثم شرع يصعد الجبل متوخيا مسالك خفية تحت الاشجار وكانت الاوراق اليابسة تخشخش عند كل خطوة يخطوها بحذائه السميك الضخم الاحمر فيشعر بلذة وراحة لم يشعر بهما من قبل ... ثم نشط وأسرع فى سيره ليصل فى أقرب وقت الى المدرسة .

★ ★ ★

..... كانت ساعته تشير الى السابعة وخمس وعشرين دقيقة عندما وصل الى المدرسة ..... شاهد على بعد بعض اطفال يلعبون امام قسم يعد المدرسة كلها .... بقى ينظر من بعيد ، من وراء أشجار فرت منها عصافير حال وصوله اليها ، وتنقلت الى اشجار اخرى بعيدة ثم عادت من جديد الى غنائها وندائها ومناجاتها .... مضت دقائق شاهد خلالها أطفالا مقبلين أسرابا من كل جهات الجبل .... وأتت الثامنة والمعلم لم يأت الى المدرسة، والاطفال يركضون فى الساحة وتحت الاشجار ، يدخلون القسم ويخرجون منه عدوا صائحين ، هائجين ..... وأتت الثامنة والربع والمعلم لم يظهر .... ابتسم سى عبد الجبار منتصرا قائلا : «هيه ، يفوت الدخول يا دعبوكة ـ وانت لا فى علمك وفى درايتك .... لا تعرف ماذا ينتظرك اليوم، ولا من يترقبك .... انى أترقبك بفارغ الصبر ، وعلى أحر من الجمر ....»

وأتت الثامنة والنصف وسى المختار لم يظهر والاولاد يلعبون ، يجـرون ، يقفزون يتشاجرون ٠

٥... وأتت التاسعة وسى المختار العلوينى لم يطل ..

فقال فى نفسه نصف غاضب ، نصف متهكم «يا نهار أسود يا ثعلب ويا خبر أسود كما يقول المصريون وأهبط عليك كالعقاب وأنت لا تدرى وأنقض عليك أمام جحرك وأنزل بك الجبل وأنت تعوى وترغى ٠٠٠٠»

وارتفعت الشمس ٠٠٠

وبغتة سمع نداء حادا ٠

«يا جرمانى ، يا جرمانى» ٠

فأسرع سى عبد الجبار بجرمه وجمجمته واختبأ وراء شجرة ثم التفت الى جهة النداء بحذر فشاهد على بعد ، تحت أشجار فى الناحيـة اليسـرى عـن البطحاء المعلم سى المختار العلوينى بعينه ، واقفا أمام دار صغيرة لم يتفطن اليها من قبل ، مشعث الشعر قصير القامة كما عهده ، لم يزدد طولا ولم يزدد قصرا نحيف الجسم كالمعتاد ، مشمرا عن ساعديه هذه المرة وفى يده اليمنى شاقور ... وعاد يصيح بأعلى صوته من جديد : « يا جرمانى ! يا جرمانى ! »

فقال سى عبد الجبار متسائلا :

«انه ينادى الجرمانى الآن ٠٠٠٠»

وأجاب المعلم طفل من بين الاطفال فى الساحة ، صائحا بدون أن يفارق أصدقاءه ، وبدون أن يلتفت اليه .

ـ لم يأت يا سيدى !

فقال له المعلم صائحا آمرا :

أنت يا طاهر والفريزيط ومعكما معيزه .

فقا المتفقد من وراء الشجرة متسائلا متعجبا « ينادى الطاعر والفريزيط ومعهما معيزة ؟!! »

أقبل الاطفال الثلاثة على المعلم ركضا ، ووقفوا أمامه كجنود أمام قائدهم فخاطبهم بكلام لم يسمعه سى عبد الجبار ، ثم دار على اعقابه ودخل الحوش ... واذا بهم يتفرقون بسرعة ويتجهون ناحية الاشجار ، يجمعون الحطب ويعودون به جريا ويمنعونه قرب «طابونة» انتبه المتفقد الى وجودها فى ذلك الحين ...

يخرج كلب من باب الحوش عدوا ويطلع المعلم وراءه يهرول صائحا شاتما:

«يلعن بوك وجد أصلك المنجوس» .

وينحنى يلتقط حجرا ويقذفه به ، يفر الكلب ناحية الاشجار عاريا خائفا ثم يبقى ينظر من بعيد الى المعلم محركا ذيله يهر متذمرا من حين لآخر ... يقف المعلم أمام الباب ويخاطب الكلب صائحا شاتما ملوحا بيديه متوعدا ... ثم يدخل ، ويبقى الكلب ينبح ثائرا محتجا ثم متحسرا ذليلا ... متوسلا يخرج طفل من بين الاطفال الذين يجمعون الحطب حمارا من وراء الحوش ويشده الى شجرة .... وأخيرا يخرج المعلم متجها الى القسم حاملا قفة كبيرة وقد مشط شعره ولبس فيستة سوداء ويتابع سيره ولا يلتفت الى الكلب ولا يعيره انتباها فهو يعوى محركا ذيله ... قال المتفقد سى عبد الجبار من وراء شجرته :

«هيه ، الآن تأتى بعد الحمار وبعد جمع الحطب وبعد ضرب الكلب ، وتسير بخطى بطيئة هانئا مطمئنا ....»

ونظر المتفقد الى ساعته فاذا بها تشير الى التاسعة وخمسة وعشرين دقيقة ... والمعلم فى الساحة والاطفال يلعبون لا يعبؤون بقدومه ، واقترب من القسم وبطرف عينه شاهد ناحية الاشجار شجرة ليست كعادتها ، شجرة ترتدى معطف المتفقد وحمل محفظته ..... قال فى نفسه برباطة جأش وبدون أن يبدى أى حركة :

« آه كركر أتيت ؟! رأيتك ، رأيتك ! وراء الشجرة واختبأت ومعطفك يفضحك ومحفظتك تشير إلي ... وأنا متأخر ، والبوم يومى ، آه آه يا كركدن

أتيت مبكرا يا وحيد القرن وتخبأت وعملت حيلك كلها وأنا قادم بأناة وراحة بال الى المدرسة ، بعد أكثر من ساعة من وقت الدخول » .

وضع قفته بكل هدوء وصفق للاطفال فتعجبوا ، وصففهم أمام باب القسم لاول مرة فى حياتهم فازدادوا تعجبا ، وأدخلهم بنظام ما بعده نظام وما قبله، ودخل هو آخرهم وأغلق الباب من خلفه ثم صاح فيهم بشدة فسكتوا جميعا وجلسوا فى أماكنهم متحيرين متسائلين ، وأمرهم بفتح كتبهم ثم نظر الى ساعته وعالجها بسرعة ، وفتح كتابه بدوره وبدأ الدرس فى سكون تام ... واذا بالباب يفتح ، واذا بمعطف سى عبد الجبار الغليظ البنى يسد الباب كله لحظة ثم يدخل وفوقه رأس سى عبد الجبار وفى يده محفظته ، ويقبل عليه بجهمه المعهود وثقل الكركدن وبطئه ويقول له بصوته الخشن وثقته التى لا تنتهى :

ـ انا المتفقد عبد الجبار القسنطينى .

خف اليه سى المختار العلوينى كثعلب بسرعة ونشاط ، محتفيا مبتسما مادا يده قائلا بصوته النحيف :

ـ آه سلامتك ، مرحبا مرحبا ، وأهلا وسهلا .

ـ .....

وتابع هاشا باشا بدون ان يعير اى اهتمام لسكوت المتفقد وعدم جوابه .

ـ الحمد لله ، الحمد لله مرحبا بك مرحبا ، اشتقنا اليك فى الجبل ، وقال فى نفسه أنت غضبان يا كركدن غضبا نومنتفخ الاوداج تكاد تنفجر من الغضب ، عيب عليك ، روح عن نفسك فى الجبل واسترح ...

وضع سى عبد الجبار محفظته السوداء البالية التى يعرفها سى المختار حق المعرفة على الطاولة ، ثم التفت الى سى المختار نصف التفاتة قائلا بصوته الاجش المخيف :

ـ درس اليوم والدفتر

فأجابه بسرعة وبدون اكتراث

ـ كل شيء جاهز وعلى احسن ما يكون ، تفضل تفضل ، ومد له دفتر اعداد الدروس ، عندنا اليوم قراءة واملاء ومحفوظات ونحو .

«أنك تقتفى أثرى ، تلاحقنى بدون هجمة الدرس اليوم والدفتر بدأنا باسم الله كالعادة» ... الكاف ثم البقسور وحوش صفاية ثم الدهمانى ، آه الدهمانى ... وذلك المصدر اللعين الذى استعصى عليك ولم تستطع اعرابه ووقف حمارك فى العقبة ووقعت فى الفخ ... وابتسم كنت تصول وتجول وتسردك على أمام التلامذة وتؤذن وأتى ذلك المصدر فصرت تقوق فزعا كدجاجة فقدت فراخها فى غاب ، سامح الله ذلك المصدر ....» وبقيت تلك الابتسامة متعلقة بشفتيه وعينيه ثم ما لبث أن عاد وجعل يترقب المتفقد وهو يقلب صفحات الدفتر باهتمام بالغ ...

وثقل الصمت فقال له سى المختار وهو يريد ان يستدرجه الى الكلام :

ـ الدروس على أحسن ما يرام يا سى عبد الجبار .

فأجابه بدون أن ينظر اليه :

ـ صحيح .

ـ نعم ولا يوجد تأخير فى برامج السنة .

فأجابه وهو يتابع تصفح الدفتر بتمعن :

ـ طيب ، جميل .

ـ وهذه السنة مباركة ، لا توجد خلالها غيابات ولا أمراض فى الجبل ، والصحة طيبة والهواء نقى والحمد لله .

فأجابه وهو ما زال يقلب الدفتر وينظر فى صفحاته صفحة صفحة .

ـ طيب ، طيب .

وتابع سى المختار قائلا :

ـ سأقدم خمسة تلاميذ لمناظرة الدخول الى السنة الاولى وسوف ينجحون كلهم بحول الله وقدرته •

فقال له المتفقد مفكرا وقد وصل الى آخر الصفحات المكتوبة فى الدفتر :

ـ ان شاء الله •

وقال سى المختار فى نفسه مبتسما : «تتأهب الآن للوثوب يا كركر ، تريد مخاتلتى •••• ثم مفاجأتى ، آن الاوان ، أعرفك جيدا ، أعرف كل الافكار التى تجول فى رأسك وكيف تجول ومتى تبرز •••»

ابتسم سى عبد الجبار القسنطينى فى داخله وتحفز فعلا للوثوب قائلا فى نفسه منهمكا : « أجبت عن الاسئلة كلها ، عن الاسئلة التى سألتك عنها وعن الاسئلة التى لم أسألك عنها ، وحدثتنى عن الامراض والصحة والاوبئة وعن الطقس الجميل والهواء النقى فى الجبل والآن فبماذا ستجيب يا «دعبوكة» والتفت الى المعلم ونظر اليه سائلا بصوته الجهم» •

ـ يا سى المختار أتعرف الساعة الآن ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فأجابه بصوته النحيف بدون اكتراث ، بسهولة وراحة بال وهدوء تام :

ـ هيه نعم ، نعم ، الآن عندى يا سيدى ، الآن عندى ، ورفع يده اليسرى ونظر الى ساعته ، الآن عندى الثامنة وسبع دقائق •

محمـود بلعيـد

عروسية النالوتى

البحث عن الافكار الضائعة

فى شارع من شوارع مدينة آهلة بالبشر ولا بشر ، كانت تمشى طفلة صغيرة لا أهل لها .

كانت تبحث عن فكرة أضاعتها على الارصفة ولم تجدها • كانت لا تنفك تسأل المارة عنها ، فيكشرون ، فاذا شفاههم تتدحرج على صدورهم ، فتزحف أنيابهم الكلابية الى الخارج عارية الا من أسلاك لحم دام ، نسيت فرشاة الانياب تهريبه •

وذات يوم وهى تبحث كعادتها عن فكرتها الضائعة فى شقوق الارصفة وعلى عتبات المغازات التجارية الكبرى اصطدمت برجل ، رجل طالت لحيته وتبعثر شعر رأسه وامتدت قامته فانقعس ، فاذا صدره فى وضع الدافع لعربة خفيفة حرون ، كلما انطلقت ، تعود لتصطدم به ، فاذا هو بين دفع وصد •

كان يعقد يديه وراء ظهره ، لا يكلم أحدا ولا أحد يكلمه ، وكان لانفتاح خياشيمه واختلاجها كالتوق للامتلاء بأرج قد يكون هو الآخر ضيعه وما ينفك يتخلل الزحام يسأل الناس عنه •

فهرولت خلفه الصبية وأمسكت بذيل سترته وسألته سؤالها العادى : « سيدى !••• يا سيدى هل عثرت مرة على فكرة ضائعة فى هذا الشارع؟ انها ••• انها افكرتى • اشتراها لى أبى فيما مضى ودفع حياته •• بالله عليك يا سيدى هل وقعت عليها ؟ أخجل يا سيدى لو عدت الى بقية اهلى بدونها • ولا أحد كما ترى يدلنى عليها» •

توقف الرجل • لاول مرة توقف • والتفت الى الصبية ومر بكفه على رأسها • قال : «لا فائدة من البحث أيتها المرأة الصغيرة ، فالشوارع لا تعيد الودائع الى اصحابها • وكل الامل أن تكون وديعتك قد وقعت فى يد كريمة تحفظها ••• أما اذا أدركها قاطع من قطاع الشوارع فـ •••• مع السلامة يا ابنتى» •

ابتعد الرجل قليلا ... ثم توقف وأضاف «المهم أن تكون الهمة عالية» !

وواصل طريقه .

بقيت الصبية ذاهلة . ثم شيئا فشيئا أخذت همتها تعلو ، فانتصب ظهرها ، فاستقامت ثم قامت تقفز أثر الرجل الذى علمها فى لحظة ما لم تتعلمه طيلة سنى البحث فى الهم والغم .

شعر بها قريبة منه فاستغرب الامر . أول مرة منذ زمن يحدث أن يحادثه انسان فيتعلق به . تريث الرجل قليلا وتركها تلحق به . وعندما قاربته سألها : «ما الامر أيتها الفتاة» ؟

قالت : أريد أن أذهب حيث تذهب .

قال : حيث أذهب ؟! ولكنى لا أسكن المدينة أيتها الصغيرة . انى ـ كوحش البر ـ أسكن الجبل وحيدا . لا جار الا ما أنبت الجبل . ولا أفق الا ما وهب البحر .

قالت : فأنا سأكون معك ومع البحر والجبل اذن .

فهل لك فى صحبتى ؟

لم يقل الرجل شيئا . وأحس بشعور غريب يمنعه من صرفها عنه وهى تبحث فى لحظة يتمها عن يد تمتد اليها . فمد لها يتمه وتسلقا الجبل .

كان بيته صغيرا كاعشاش الكواسر لا تكسر الا حدودها أو الخوافق توقع الحياة بنبضها .

كان بيتا مفتوحا للصحو والانواء ، يشرف على كل الجهات . فسكنت اليه والى ساكنه وتعلما العيش معا .

كانا ذات صباح يطلان من البيت على المدينة . فبدا لها الناس فى الشوارع المزدحمة بهم كالنمل يتلامس ليتباعد . لا أجسام لهم ولا قامات ترفعهم وكأنهم يمشون على رقابهم .

ضحكت الصبية وعانقت الرجل قالت : لا أريد مبارحة الجبل • فقد اعتدته وألفتك .

فقال : ان العيش فى المرتفعات صعب • وساكن الجبل كالواقف على رجل واحدة ، والرجل على الحبل والحبل فى الفضاء ، يجذبه القاع من كل صوب •

قالت : مالنا والقاع ؟ ها نحن هنا . فى الجبل ما يغنينا عن النزول .

قال : صعب ان نبقى على ظهر هذا المرتفع وكل من يجرب الصعود الينا ينزل بسرعة ولا يعود فهو كالعجلة المدفوعة بحتم شكلها والانجذاب •

انهم ـ يا رفيقتى الصغيرة ـ اذ يصعدون الينا فلينزلوا بنا •

قالت : ما همنا فيما يفكرون • نحن حيث نحن وكفى حسبنا أن نكون هاهنا سعداء •

قال : من العسير أن تدوم سعادتنا وطعم الوحشة على لسانينا مر كالعلقم•

قالت : لا تيأس ! فكما جئت ، يجيئون • والمدينة تعج باليتامى الذين سرقت المدينة منهم شيئا • أليس المهم ان تكون الهمة عالية ؟ أنسيت أنك أنت الذى علمتنى ذلك ؟

قالت ذلك وتأرجحت بثقلها حول رقبته كقبله فيذعن بالقبول ولا يتزحزح عن انقعاسه المعتاد •

ثم أردفت : نسيت أن أخبرك !.... لقد عثرت فى بيتك والجبل على أفكار ناصعة وشفافة كالالماس •

قال : اجمعيها ، وتخيرى أحسنها وأجملها فهى لك لباس وأهل وموطن . واذا ما نزلت الى شوارع المدينة وحملتك الحاجة لقضاء شأن فشدى عليها وأحكمى التصرف فيها ، فهناك حكما من اذا تراءت له سيسعد بها •

قالت : وأنت ؟ ألا تريد الاحتفاظ ببعضها ..

قال : لا • لقد جمعت منها وصرفت ما كفانى العمر وآلمنى •

عروسية النالوتى

آخـــر المعـــزيـن

لم نعد فى حاجة الى حمار ـ وما نصنع الحمير وقد بعنا الضيعة ـ فأصبح عاطلا لا يبرح المربض وتمادت عطلته فتوغل فى الاهمال · وأدمن ارتيـاد المزابل بحثا عن السلوى ومن خلالها يفتات بعد ان نضب ما يقدم له من علف حين لم يبق لنا ما نقدم . وأطلقنا له التصرف فى ذاته اذ انفصم ما بينه وبيننا من روابط فاضطر لتسخير مجهوداته كى يضمن لنفسه الرزق · ومن ثم فهو يغادر البيت صباحا ولا يعود اليه الا حينما يطمسه الظلام · وقد يجد الباب موصدا فيتسمر هناك أمامه يحرسه حتى ينفتح صباحا فاذا هو يدخل متكاسلا يوزع نظراته هنا وهناك · ومتى وصل المربض وقف متشمما ثم يصيح ناهقا ولا يغادر مكانه حتى يستعرض بعض أفراد العائلة فكأنما يستفتيهم فى حريته أو لعل غرضا آخر يدفعه فمن يدرى كيف تفكر آل حمرة وبماذا ؟

بعدها يترك البيت ـ نسيت أن أقول : انه لا يغادرنا الا بعد أن يلتحق الصبيان بكتاتيبهم ـ ويذهب الى المكان الذى يريد ـ ولست ادرى كيف يبنى اختياره ولكنه يمشى بارادته ويغير وجهات تنقلاته بعد ان يقف قليلا ويخلد الى السكون والتأمل حتى يظن من يراه انه يحل معادلة صعبة او اخطر مشكلة فى هذا العالم المصاب بكثرتها ·

ثم يرفع رأسه ويحركه مرات حتى يسمع صدى ارتطام أذنيه وذلك دليل على أنه اتخذ لنفسه قرارا . وظلت حياته هكذا رتيبة ـ أو كما أراها أنا ـ وفى الرتابة يتكور الملل . ولو أردت ترتيب وقته لكان هكذا : جـولات فى الدمن والمزابل بحثا عن القوت . الذهاب الى النهـر للشرب والاغتسـال ، فالتوقف قليلا عند حافة النهر للصمت والتأمل . النهيق للاعلان عن الوجود الالتصاق بالحيطان لارضاء رغبة التعرض لاشعة الشمس فالعودة للزبـل . لو كنت مكانه لفضلت الانتحار ولكنه ظل يمشى بكبرياء جـرته الى ضياع الناس واقتحام بساتينهم .

وغازلت أنيابه مزروعاتهم فأدرجها فى برنامجه اليومى · ولعله كان يتحين الفرص مما جعل الشك لا يشير اليه وما ارتاب أحد فيه والكل حفظ جدول أوقاته . وبذلك استبله كل الناس وهو الذى لا يرفع رأسه من مزبلة الا ليتحول الى أخرى وقد يضطر بعض اهل القرية لاعمال بسيطة تكون عن طريقه هو فلا يتعبون فى البحث عنه فى غير تلك الاماكن ·

حتى جاء يوم فضيحته وقد عثر عليه متلبسا كما يقول اصحاب القانون والغريب المضحك ان الذى هتك سره وقبض عليه يسمونه فى القرية «الحمار» ولعلها طريقته أيضا فالطرق الملتوية لا يعرفها الا من يستعملها. المهم ان الحمار الآدمى كشف سرقة الحمار البهيم ·

فكانت عاصفة : الحمار المذنب ـ اعنى حمارنا نحن ـ مربوطة أرجله بالحبال والفضيحة تقهقه خلفه ومن ورائها الشهود والمتطفلون · وبعض الشامتين · ووجد حتى من يحسده على حالته هذه ·

وفد محترم يقذف به الزقاق يتقدمه الحمار يليه الحمار الآخر وتأتى بعد ذلك الوفود ·

وبادرت بالنهوض لكى اكشف ما يحدث · فنهرنى ابى ·

ـ اجلس ! مالك انزعجت ؟ ماذا يمكن ان يكون ؟ ·

فقلت بشغف :

ـ انه حمارنا ·

ورد ابى فى تؤدة ·

ـ وماذا فى ذلك ؟ انقوم لحضرته اجلالا ·

وتقدم الوفد رويدا حتى وقف الجميع بحضرة أبى ولم يتكلم احد · حتى ظننت ان حمارنا هو الذى سيتكلم · وأنه انما جاء ليشكو مظلمة · ولكن سبقه الحمار الآخر ·

ـ هذا اللعين عاث فى أرضى ·

قال أبى : ومتى كانت الحمر غير لئيمة ؟

جلس الآخر نصف جلسة ووضع الحبل الذى يربط الحمـار تحت رجلـه وأسند رأسه بكلتا يديه ، واستأنف :

ـ كيف العمل ؟ أتبقى حمارك يلتهم مجهوداتنا ؟ لو لم يقف شخصك فى الطريق لرفعنا أمره الى الحكام . أو ارتكبنا جريمة فى حقه .

ورد أبى فى دعابة والابتسامة تتسع بين شفتيه :

ـ المهم أنهم وضعوا للحمير حكاما • انها بشائر خير • ارفع به قضية وأنا معك أشهد .

وكرر الرجل : بشائر خير ـ تشهد معى حمارك ينتهكما لنا ومجهوداتنا . نشكوه فتقابل شكوانا بالسخرية . اذن فانت توجهه عمدا . لانـك لم تعـد مثلنا تملك ضياعا لقد أضعت كل ....

ـ هذا كلام طائش . عوض غضبك بالصبر .

وقف الآخر . ورمى بالحبل فى وجه أبى قائلا :

ـ لو لم تكن هناك بقية من احترام لنفذت .

ومضى لا يلتفت وهو يلغط بكلمات أسقطتها من ذاكرتى عمدا .

وقال أبى والناس من حوله ينظرون :

ـ أصبحنا فى المراتب السفلى اذ يجب علينا ان نحرس الاحمرة فى آخر الامر • ونتلقى الامر ....

ومن بعيد كرر الآخر : المراتب السفلى • او تظن انك لم تبلغها بعد • سوف ارفع امرك للحاكم لا امر الحمار •

ـ نعم ، قال أبى ، لقد بلغتها وأنا أدفع بمثلك للخير . استغفرك اللهم . وأنا أرفع أمرك الى الله . وصمت .

وتكلم أحد جلاس أبى : لقد ربيت أفعى وهذا خيرك يعود عليك شرا .

ولم يقل ابى شيئا حتى تفرق جلاسه فسالته : لماذا لم يرفعوا امر تلك السيارة التى قتلت بالامس الطفلة حنان للحاكم ومن أجل كمشةقش يشكون؟ ولم يزد ان اجابنى :

ـ سوف يتساوى القش والانسان يا بنى .

قلت : متى يكون ذلك ا أبى ؟

ـ قال لا اعلم ولكنه سيكون قريبا . وقام مهموما وارتمى على الفراش وشاهدت انه يتغير . ودخلت امى فوجدتنى اكاد التهم وجهه بنظرى وانا أنادي ولكنه ظل صامتا ينظر الى والابتسامة لا تفارق فمه الوسيم . وجذبتنى أمى برفق وهى تولول بكلمات لا أعرف لها معنى الا انها أسالت دمعى غزيرا وجذبت اليها نساء الجيران . ومع ذلك فقد ظلت عيناى مربوطتين الى ذلك البيت الذى يرقد فيه أبى وقد أغلق دونه .

ولم أفق من ذهولى الا حينما وضعوا جثمان أبى فى حفرة وهالوا عليه ترابا فقد أحسست أن ألمى خلق توا وتيقنت أننى لن أراه بعدها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتحولت بنظرى من خلال الدموع أبحث فى ذل وألم عن كلمة تزيد من حزنى وحرارة دمعى . وأنشد فى وجوه المعزين وأقاربى الملتفين حولى كلمة فيها أمل . راجيا منهم أن يرقوا لحالى فيرجعوا لى أبى . وبينما كان آخر رجل منهم يقبلنى معزيا وأنا أبكى بحرقة سألته : متى يعود أبى الى البيت ؟ ولكنى لم أتلق جوابا فقد أغضى الرجل ببصره وبكى هو أيضا وشجعنى ذلك على أن اكرر السؤال . ولكن اصطدم نظرى بالحمار يتقدم نحو المقبرة يرفع صوته ناهقا . ولعل المسكين كان ينتظر فلم يتقدم أحد لعزائه .

فكان هو آخر المعزين .

التابعى الاخضر

عبد الـلـه القـويـري

ســاريــة جنــب الســراى

كان الرذاذ على أهدابه ، أطرافه من الثلج · قدماه ثقيلتان · خيوط حذائه متصرمة · سترته خرق · ربطة عنقه حبل لم يعلق به ليشنق · مد يده الى رقبته · أحس بالاصابع تمتد اليها، أحسها غليظة تنهك عروق رقبته· ضربت الاصابع حتى كادت تتقصف · نفسه تمتلىء غيظا من غلظها · الصقيع يجعلها تحمر ثم تزرق · صقيع هذا الطريق · ذهبت فى الطريق غـزوات وجـاءت غزوات · تقترب من الشاطىء حتى تلامس حافات الموج ، وتنتشر بعدها فى الآفاق متداخلة مع لون الرمال فى الداخل · تأتى الى الحافات وتبقى عند أقدام الجبال ولا تصعدها · تسيح فى البطون شرهة · العقول مغلقـة · الايـدى جافة · الاقدام متشققة · الاعين جاحظة · الرقاب ضامرة · الصدور عظام · الجلود داكنة · النفوس هامعة · الرغبات ضيقة · يجتمعون ويتحدثـون · يقترب واحد من واحد · يدور كل واحد حول نفسه · يـدور بهم المكـان · الشمس حارقة · رائحة الرمال على الالسنة فى الافواه تدور ولا تهدأ · كـل يبتعد عن الآخر · يبتعد ولا يعطيه ظهره · يتلفت فى كل اتجاه · يحرك قدميه حركات قافزة · يهز كل واحد منهم عصاه · البطـون هى العقـول · تجـف الشفاه · البطون ضامرة · قالوا بأنهم يكرمون الضيف · قالوا · وقالوا · بأن الشهامة تأخذهم فيجيرون الجار ، ويغيثـون المستغيث ، ويسـاعـدون الضعيف ، ويعفون عن الخسائس · ويدافعون عن العرض ، ولا يطمعون فيما عند غيرهم ·

قالوا ، وقالوا · عندهم معان · سموا حتى بلغوا الثريا ، وشفت أرواحهم حتى كأنها السنى ، ودقت ورقت أجسادهم حتى كأنها النسيم · قـالـوا ، وقالوا · تذبح الشياه وتسلخ ثم تعلق · اللحم يطبخ · يوضع الملح ويترك على النار · رائحة اللحم تملأ الجو تحت الاشجار الهرمة متـآكلة الجـذوع ، تتآكل بالتراب والزمن · تسرى رائحة المرق والشحم والدخان تحت أرديتهم

وأغطيتهم الصوفية • الوبر كالشوك بارز • الريق يتحلب فى أفـواههم • الكلمات تتناثر مختلطة بالرذاذ من بين شفاههم • المصارين تتلوى فى الجوف• الجوع لا يغيب العقول • الحديث أصوات • معرفة الجدود حديث • انكـار الالحاق حديث • النسب كلام • توضع القصاع ، وتمتد الايدى متقشفة بارزة الارساغ ، معروقة الاذرع ، ناتئة العروق • بقع داكنة هى الوجوه • حفر هى العيون • حفر تملأ الطريق ، فيمتد بصره ملامسا كل حفرة ، خامدا كأنه ماء دلق من كوز على مهل • يحسب نفسه فى النهار صفحة كراسة سوداء • وجه الطريق بلون القطران ، جعلته التواءات العجلات واحتكاكاتها لامعا • يلمـع حتى يختلط ببريق عينيه ، فترتفعان تتعلقان بالافق ، ليلامسا حافة السراى الحمراء ، فلا تزيدا ، ويبقيان هناك كشاهدين محترفين ، ينتظران من يناديهما، وتبهت اللمعات • وتزول حدة الالوان ، وتبقى الاصوات فى الاذنين هرجا • دائما هم فى هرج • يموت الفرد ويدفن ، فتجتمع الشفاه والايدى ، وتدور الالسنة ، وتلوك الشفاه الطعام ، طبيخ ولحم وثريد ، خبز تنور وزبد • هرج وحروف ، وأصوات ما تحت الحنجرة وما فوقها ، تتدحـرج كلمـات ، هى الحروف نتاج ذبذبات الاصوات ، وتجمعات كتل صغيرة من الهواء فى الحنجرة• وتبقى فى اللهاة مع الريق أصوات • لا تبقى المعانى ، ولا تحتفظ الصـدور بشىء ، فهى منبسطة مسطحة كالطريق • ويعود بصره سريعا الى الطريق • تلامسه نظرات العياء والارهاق • كأن صرخة حادة اخترقت أذنيه ، فـرفـع وجهه من جديد فجأة ، والتفت الى حافة السور للسراى ، يمسح مسطح السور الاملس • لم يكن السور أملس ، خدعه غبش المساء والرذاذ يمـلأ الجـو ، والرذاذ على رموش عينيه • الجدران حفر • القدم فعل فعله • الزمن يتآكل على حافات الجدران • هناك جدار واطىء يواجه البحر • جدار منخفض تساقطت الاحجار من فوقه فتكومت الى جانبه ، وبقى جانب من الجدار مرتفعا • هناك سارية وحيدة ، تبدو متروكة من زمن ، لم يرفع فوقها شىء ، ولم يسقطهـا أحد ، ولم تسقط من حولها الحجارة لم تنقصف ، ولم ينقصف طرفها العلوى• مشذبة كأنها تخترق الجو حولها • من يراها يحسبها وحيدة ناتئة ، ليست فوق جدار عال • لم يصنعها أحد ، وخلفها جدران السراى مرتفعة ، وفتحات الايوان بأقواسها الكبيرة تبدو قطع من السماء من ورائها • تسمع الصـرخة من جديد ، ثم نواح ، قتل ابن الباشا ، وصرخت امرأة كانت سبية ثم جارية، ثم زوجة ، ثم امراة • لحم تربرب فى المخادع ، فلا يراه أحد ، وضعت فوقه أصناف من الحرير ، ودارت حول الاذرع حلقات الذهب ، وسالت النظرات

المغلومة ، وتشابكت الرغبات ، فهى أحيانا مكبوتة ، وأحيانا منطلقة · لا يقف أمام عرامة الدفقات تنطنق فى العروق أحد · العبيد وقوف ، والعيون · لا أحد يتكلم فالعلوج يتفجرون نارا · كل واحد كتلة ساخنة · تتلظى فيها أسياخ محماة من نحاس أحمر · لم يعودوا يدركون شيئا · انطلقوا ، وأراد من أطلقهم أن يكون مثلهم ، فجاء الشيخ فى صدره · العبد يتحول عن الطريق، ويقف على باب الايوان ، ويأتى عبد آخر ، ويلقى نظرة من فوق السراى فلا يرى أحدا · ويأتى علج يصرخ فلا يعترضه أحد ، ويسمع العبد الدهكات واللطمات وتدافع الاجساد ، وتلاحمها ، وحشرجة الانفاس ، ثم ارتفاعها · يرى العبد عندما يلفت رأسه المرة بعد المرة جسدا ملقى ، وجارية تجرى خلف باب هناك ، ويسمع كلمة «ولدى» · يأتى علج محمر الوجه ، مختنقا بالالفاظ يلقيها بلا معنى ، فينظر الى السارية ، ويشير اليها بيده ، فيشربه من خلفه علج آخر فجأة · أبواب السراى مغلقة · الاصوات تهدأ ، ثم تعلو من جديد · تجمع البشر ، اذ كادت سيارة تدهس رجلا مسنا يسير على مهل تحت السراى· السيارة مسرعة تخترق القوس الارضى الكبير · الناس عيون · الالفاظ قليلة السكون يخيم · لم يبق هناك من الكلمات غير الاسئلة · لم يصرخ الرجل المسن ، مدد فوق الرصيف · أوقفت حركة السيارات ، فتحولت تخترق الميدان من اتجاه آخر · جاء شرطى المرور ووقف هادئا ينظم الحركة · انفض البشر ، كلهم يسحبون أقدامهم · الاقدام تسحب كالاغنام الهزيلة ، وكل راع تسحبه أقدامه خلف الغنم · يقف الراعى ليرضع نعجة ، ويهز الكلب ذيله · يحلب الراعى قليلا فى «مطرة» ، ثم ينظر فيما حلب ، ويعود يحلب من جديد، ثم يقدمه للكلب ·

الكلب يلغى . والنعجة ضامرة تصيح صياحا واهيا . الصوف ملبد التراب على الشفاه · النعجة تنفر من خياشيمها دودا · عواء الذئب بعيد · لم يعو من زمن قط · لم يسمع عواء قط أو مواءه ، أو نداءه لانثاه · الجفاف حط منذ سنوات ، وبداية الشتاء تخدع البشر بهذا الرذاذ ، الفندق أمامه تتهالك نوافذه . فألواح النوافذ متآكلة ، والابواب تميل على جوانب المداخل . وجاء أناس ورقدوا فى الفندق · وجاءت جيوش من البشر نزل بعضهم فيه ، دخلوا وخرجوا · سمعت أوامر ، وتحركت الايدى بالتحيات ، وطاويات الطريق تدخل مسرعة وتخرج · السكون ينزل فلم يعد هناك أحد · الفندق فارغ · العبد بعدما دخل يعود ، اذ أحس به جسما أسود فى الظلام · صليل نحاس

يحتك بعضه ببعض · طرقات على القدور ، وصلصلات أجراس صغيرة · فجوة بين دفقات الضجيج ، يسمع خلالها لطمات الموج للصخور ، فالمد يرتفع كثيرا· والسفن تقترب من الشاطىء · صياح الرجال القراصنة وزحرات الصدور ونداءات التملك ، تهز الخمول · تتجاوب الصيحات والنداءات وتتداخل بالرغبات ، بالاندحار والزحار والانتصار ، والانكسار ، وتشفعات الابكار يحملوهن الى الباشا · بنت الباشا لم تزف الى عريس · جاؤوا من بر الروم ، كانوا يجوبون البحار · الضربات تتواصل من البحر · البمب يتساقط طوال الليل · كان أبى يعمل فى البريد ، ويقوم بفرز الخطابات فى الليل · لا يعرفون التوقف حتى عندما تتساقط الكرات ، يقولها أبى · تتساقط الكور، وكنا نعمل طوال الليل فيما تحت مبنى البريد · هناك غرف وسراديب · منذ بنوه يبدو أنهم كانوا يبنون للحرب · كنا نسمع تساقط القذائف وانفجارها ولا نخاف · قال أبى · وفى الصباح أخذت حصتى من الخطابات أقوم بتوزيعها · قال أبى · زادوا فى أجرى · أحببت العمل · فى أحيان كثيرة كنت أحمل الخطاب فلا أجد المنزل · العنوان باق والمنزل تهدم · فى احدى المرات وصلت العنوان · فوجدت الحطام والاشلاء ، وضعت الرسالة عند الباب · بمبة سقطت فى الليل فعملت عملها ، وفى الصباح كان على أن أعمل عملى ، أن أحمل الرسالة ، وهذا ما حصل ، قال أبى · صوته خافت هادىء · كأنه لم ير الحرب · ولم يعشها · مرت أيامى بين يديه ، كأنها تمر بين قطع من فلين · اقتربت من صدره · كان هدوؤه يجعله مجردا من كل شىء · عاطفته هى جسمه وصدره وكلماته ، ليس فيهما من حدود أو نتوء أو حدة أو خبر يشدهك · العبد هذا اللئيم ماذا يرى ؟ كأنه يراقب كل واحد، كأنه يراقبنى ، هناك عند باب الفندق يقف شخص آخر ، وجهه أحمر وصلعته حمراء ، وحذاؤه أحمر ، وأذنه حمراء ، وأنفه أحمر ، وعيناه حمراوان ، شواظ من نار ، وتتقد النار فى صدرى ، وأسمع احتكاك سيارة طاوية آتية من الصحراء مغبرة · الحلفاء يتقدمون ، جيوش المحور تتمزق فى الصحراء على الطريق الساحلى · تتلاشى هاربة فى البحر · بقايا الآلات ، الاسرى · الاقدام المرهقة · العيون الوامقة · هناك بعيدا ترقد عنزات فى ظل زيتونة عند سفح الجبل · مغارة الجبل يرقد فيها جندى هارب أهلكه السير الدائم· كان النوم أمنية · الراعى يغنى على ليلاه · أغنيات «العلم» منتوحة من صدره اليابس · بقايا جلباب يغطى جوانب جسده أما عظام الصدر فهى عارية ·

كل شيء عار • نفوسنا عارية • جئنا الى الدنيا عراة • رغبات مجموعة ، ورغبات منزوعة • سمعنا «اسكت» • وعرفنا «حرام» ، ومشينا فى الطرقات، ونظرنا الى هذه السارية • ترى هل رفع كل واحد نظره الى السارية مثلى • مثلى ومثلهم ، ومثل أبى ، ومثل العبد فى السراى ، ومثل العلجى يقتل العلجى، ومثل الراعى ، والجندى الضائع منهكا فى الصحراء • المجتمعون حول قدره هل جئنا الى هنا لنرفع انظارنا الى السارية ؟ فالعبد لا يراها ، انه ينتظر أمرا • هو مكلف بما أمرته به سيدته أو سيده •

أبى لم يرفع رأسه منذ خرج من سراديب مبنى البريد أيام الحرب ليعمل فى غرفة فوقية • كان نظره على قدر حروف الرسائل • العلجى لا يهتم بغير علجى آخر ليكون مقتوله أو قاتله • الراعى لم يأت الى السراى ، وان سمع بها • الجندى الضائع سيؤسر ثم يرصد ويوضع فى باخرة تجتاز به البحر ، من تجمعوا حول القدر كان همهم ما فى القدر تسيطر عليهم غمامة هرجهم •

السارية كأنها مغروسة فى صدرى • والاسفلت الاملس لم يعد له التماعه• وأضواء الفندق تذوب كأنها ذبالات مصابيح زيت • تساءل واحد ممن مروا :

ـ هل أنت أطرش؟

لم أجب • وتساءل آخر :

ـ هل أنت أعمى ؟

لم أجب • فتساءل ثالث ، بلغ به الضيق حده :

ـ ماذا تفعل هنا ؟

ـ لم أتحرك ، فامتدت يده تضربنى فى كتفى ، وكلماته حادة :

ـ أنت ألا تسمع ؟ من أنت • تكلم • ألا ترى • ألا تفهم • ألا تتحرك !؟

كادت اليد تطيح به ، فى اللحظة التى جذبته فيها يد أخرى • وتحركت قدم تريد أن تركله •

كان الظلام يسيطر ، والموج لا يلطم حافات الصخور • والسارية جنب السراى لا يراها أحد •

عبد الله القويري

قـراءات فى مجمـوعة « ويبقـى السـؤال »

للقصاص : جلـول عـزونة

(I) ـ **تقـديـم** : التأم لقاء يوم 4 سبتمبر 1983 بمنزل تميم ضم نخبة من المثقفين لمناقشة المجموعة القصصية : ••• **ويبقى السؤال** لجلول عزونه (I) • ونحن نورد اهم ما جاء فى هذه الامسية •

(II) ـ **المداخلات** : بعد تقديم سريع للكاتب والكتاب من طرف القصاص **محمود التونسي** تناول الكلمة المربى **المختار بن فضل** (2) وهذا **أهم ما جاء فى** دراسته المكتوبة :

(أ) «انى أريد تركيز كلامى بالخصوص على الاقصوصة الاولى : **نـارسيس الامس** (من ص 7 الى ص 9) والتى نشرت أول ما نشرت بجريدة **العمل** بصفحة أدب وثقافة بتاريخ 16 جوان 1967 •

ان اعجابى بهذه **الاقصوصة** يدخل ضمن **اعجابى** بما يكتبه عزونه **عموما فى** الجرائد والمجلات وبنشاطه فى حين نرى الكثيرين من الشباب يكاد يقتصر نشاطهم على لعب الورق وتسجيل الايام •

(I) طبع الدار العربية للكتاب ـ 1981 ـ **112 صفحة • 22 اقصوصة** مع اهداء ومع آراء 15 **ناقدا وقصاصا** فى كتابة جاول عزونه وهم : أحمد الهرقام ـ حبيبة بن فضل ـ محمد الهادى السوسى ـ عمر بن سالم ـ يوسف بن ساسى ـ محمد مواعدة ـ عز الدين المدنى ـ خيرة الشيبانى ـ محمد المختار جنات ـ عروسية النالوتى ـ محمود التونسى ـ سمير العيادى ـ محمد الهادى العامرى ـ وعبد السلام خروف .

(2) هو معلم متقاعد يهوى المطالعة والثقافة •

وهذه الاقصوصة تنطلق من مقولة سقراط : **اعرف نفسك بنفسك** أى اصنع لنفسك شخصيتك وفكر لنفسك • وهناك علاقة بين هذه المقولة وعنوان الاقصوصة • وقد بحثت عن تفسير لاسطورة **نارسيس** وبحثت عن معنى : **ميثولوجيا** ومن هنا نعرف أن **النرجسية** هى نوع من الشذوذ الجنسى وعشق النفس والمصابون بالنرجسية عددهم كثير فى مجتمعنا اليوم •

واذا ما حللنا الاقصوصة فاننا سنلمس علة القبح ••• فالبطل متشبث بالمقولات العقلية الجاهزة وهو منغلق على نفسه ••• ونحن قد نشعر بما يقوم به البطل وربما بأهميته ولكن النرجسية مسيطرة ، فالبطل ذو شخصية منفصمة وقد نفهم هنا لماذا يستملح القصاصون الشخصية القبيحة ! فحب الذات يقض حياة البطل ••• ويصح هنا الاستشهاد بالآية الكريمة : «وأما الزبد فيذهب جفاء •••» فالبطل **سجن** نفسه فى نفسه ، فهو يعيد نفس الاغنية ، «فبطلنا ميت فى عشقه ذاته •••» ولكن الدم المتدفق يمثل ولا شك أمل اليقظة فالبطل يراجع حاضره وماضيه بالجرح ونحن نتساءل : « ترى متى يتطهر مجتمعنا من أمثال نارسيس ؟ »

وقد جاءت عبارات هذه الاقصوصة سهلة ، لا غرابة فيها ••• الا عبارة : اللألأة عوض عبارة سكون الماء وصفائه ! وهى عبارة تفيد الاضاءة مع الخفقان ... وهذا نوع من **الرسم بالعبارة** ، فهناك الالوان بكثرة ولعلها رموز؟ واذا كان كذلك فان القارىء لا بد له من جهد لفهم هذا الغموض المقصود وحتى لا يتيه ــ فهل ان عزونه يكتب لنخبة ؟

ولكن مع هذا تبقى هذه الاقصوصة نوعا من التفسح داخل مجاهل النفس : هذه النفس التى تعانى من الشذوذ ومن الانحرافات • ولعل الكاتب يحمل هموم أبى القاسم الشابى عندما يقول : «ليتنى كنت حطابا فأهوى على الجذوع بفأسى» فعزونه كذلك يصرخ : لا سبيل للانعتاق الا بالخروج من عبادة الذات والعزوف عن الافتتان بها •

(ب) رأى **الصادق شرف** (3)

«هل يبقى السؤال اذا لم نصنع جوابا ؟ ليس من الصعب أن تسأل ... ولكن الصعب أن تصنع جوابا مقنعا لك وللآخرين ـ وان لعبة النقد وقوانينها لابد أن تكون بناءة والا صارت قيودا ...

ان نخطىء حينا فتلك تجربة ، أما أن نواصل الخطأ فذلك فشل لتجربة الحياة كلها ... وكما قال فولتار : «اني مستعد لادفع حياتى من أجل الدفاع عن حقك فى التعبير عن رأيك وأن كان مخالفا لرأيى» وقد نختلف فى الرأى ولكن لا يمكن أن نخطىء فى الاشخاص .

وفى نقدى لمجموعة عزونه : .. **ويبقى السؤال** أنطلق من **النقطتين الموجودتين قبل العنوان** وهما علامتان لهما قيمتهما فى الكتابة الحديثة كما ان للكلمات قيمة مثل ما أكدت اللسانيات ذلك . ونحن ضد التحنيط أى تحنيط للكلمات واللغة ... ولكن مع هذا فنحن لا نقبل أن نرى كل الادباء يصبحون شعراء !!.. فالعالم مختلف عن الاديب رغم أننا نجد «نفس الشىء يعمل فى الفكر الاسطورى وفى الفكر العلمى» حسب قولة ليفى ستروس ... لان المنطلق وان كان واحدا من الاسطورة ومن الرموز الا ان استعمالاتها تختلف من طرف لآخر ...

ثم اننا نجد بعد النقطتين : **واوا** ، وقد تسبق الواو الاسم أو الفعل وهنا تسبق الفعل ونحن نلاحظ أن المجموعات الشعرية أو القصصية التى تبدأ بفعل قليلة جدا ولا يكاد عددها يتجاوز أصابع اليد على الساحة الثقافية ... **فالقاص ينطلق من الفعل** ـ وحين نردد المقولة : **فى البدء كانت الكلمة** يبدو لاول وهلة أن هذا مناقض للفعل ومعناها : **فى البدء كان الفعل** (Le Verbe) وهذا شعار نؤمن به ونعمل على تحقيقه ... فلا بد للكلمة من أن تتجاوز اللغو . والكلمة اذا دخلت المطبة صارت فاعلة **فالكتابةر فعل صحيح** .

---

(3) شاعر ـ صاحب 6 دواوين شعرية منشورة ـ ومجموعة قصصية واحدة منشورة ـ سكرتير تحرير مجلة **الفكر** ومدير سلسلة **الاخلاء** .

وهذا ما لجأ له عزونه ؛ والسؤال أين نضع عزونه ؟ وفى أى تيار يمكن أن نصنفه ؟

سألجأ الى ما ذهب اليه القصاص والناقد محمد صالح الجابرى المعروف بدراساته عن أوليات القصة التونسية (انظر بحثه عن **هيفاء وسراج الليل** للسويسى القيروانى وهى أول أقصوصة تنشر سنة 1906) ـ والجابرى عادة ما يتحدث عن الاجيال فيقول مثلا : جيل الخمسينات أو جيل الستينات وفى الحقيقة نحن أمام عقد من الزمن لا جيل ... ويقسم الجابرى اتجاهات القصة الحديثة الى **نزعات** يسميها : النزعة **السلفية** والنزعة **التأملية والنزعة التجريبية** ـ وعزونه فى مجموعته هذه التى بها 22 **أقصوصة (14 نشرت فى الستينات و8 نشرت فى السبعينات)** أعتقد أنه **متأرجح بين مسارات النزعة التجريبية** التى يمثلها عز الدين المدنى وعروسية النالوتى ومحمود التونسى وبين **النزعة التأملية** ، ولا غرابة فى هذا اذا علمنا علاقة محمود التونسى بجلول عزونة ، وهى علاقة لها أبعاد ثلاثة :

أولها : العلاقة الاجتماعية : من ذلك نفس مسقط الرأس ونفس المدرسة الابتدائية ونفس الحى ونفس الوسط الشعبى بهمومه وخرافاته .

ثانيها : نفس **المناخ الدراسى** بتونس بعد المدرسة القرآنية بمنزل تميم ، هناك تفاهم فى الشبيبة المدرسية والطالبية وهناك تجربة مجلة **الرأى** الادبية **وفشلها . وذلك راجع حسب رأيى لانكماش المثقفين بمنزل تميم** ، فاذا تأملنا فى كل مدن الوطن القبلى انطلاقا من الهوارية وصولا الى منزل بوزلفى ومرورا بقليبية وقربة ، نجد أن كل هذه المدن لها مهرجانها ولكننا لا نجد سياحة لمدينة منزل تميم وهى من أكبر مدن الوطن القبلى بعد نابل ... فلا سياحة هنا لهروب السياح من وسط المدن والنزل الوحيد بمدينتنا وجد فى قلب منزل تميم ، ولا يكاد يكون النشاط هنا الا الاعراس لملء الفراغ .

وثالث هذه الابعاد هى **العلاقة الايديولوجية** فقد تزامنا فى الحضور بفرنسا بعد فشل تجربة التعاضد بتونس ، وقد انسحقا معا فى التجربة (دخول الشعبة الدستورية وانسحاب بوعى) وتفريخهما من فشل أحمد بن صالح فدخلا **للوحدة الشعبية** .

ولكن عزونة متأرجح بين النزعة التجريبية والتى يمثل أحد دعاتها محمود التونسى وبين **النزعة التاملية** ، فعزونة **يخرج عن التجربة ولكنه لا يغـرق فى الشكلانية** . فمن الكلمات العزونية المتـداولة فى هـذه المجمـوعة نجـد : «الحلم المنزعج» و «البصاق» فالكاتب يعيش واقعـا متألمـا وحـزنا رصينـا «**فالتأمل ، هاوية لا شعاع فيها**» ! كما يقول بيرندلو • ان المـرء ليغـرق فى الظلام «انه الظمأ الذى لا ينطفىء» • انها الحرقة العنيـدة الى الشـوق والى النور والتنور (انظر ص 97) «ها صحراء شفتى» •

فنحن كالعناكب المسكينة ، اذ لا بد لنا من حمل قوقعتنا الهشة • وان كنا ننـدد بالانبطاح (ص 67) فى أقصوصة : **الـدود والافـاعى** فنحن زواحف ربما أرفع فقط من الزواحف التى نعرفها ولكننا نموت من **القبلة الثالثة** (ص 50) ونبقى دائما فى حاجة الى عالم صغير ، عالم الانسـان الذى أشبهـه بعـالم الحلـزون •

مسح لبعض الاقصوصات

(I) ـ **نارسيس الامس** : هذه الاقصوصة فيها تعمق فى الوجود ونجد فيها كذلك **تقابلا** بين المدينة والريف • فالانسان يستبطن نفسه اذ هـو يستفهـم باستمرار حول الحياة والموت • هى قصة تأملية ، يقضى البطـل وقتـه بين المرآة والغدير وهنا أيضا تقابل بين هذين الاطارين ولكن هذا التقابل عكسى (انظر مثلا : «وجه الغدير الذى تجهم» • فعين البطـل هى عيـن التأمـل فى الكينونة وبالخصوص فى الموت لان الموت جزء من الذات ؛ يقول الغزالى «لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة» •

(2) ـ **واقع شاب ـ جرأة أتت متأخرة ... وقصص الستينات**

هذه المجموعة من الاقاصيص خارجة عن النزعة التأملية **وغارقة فى التقليد** فالاسلوب فيها كلاسيكى وكذلك تعابيرها «وجه كالسراج••• الفتاة الخود••• جمال ملائكى» •

ففى **واقع شاب** لا نجد الا رؤية محدودة فى التعامل مع تقنية القصة الحديثة فالانشائية واضحة وقد كتبها عزونه وعمره 17 سنة • فالهاجس الوحيد هو

الحوار الداخلي • أما في **جرأة أتت متأخرة** (ص I4) فهي قصة **مذكراتية** •• من 20 جانفي ••• انطلاق الحب المدرسي ولكننا ازاء واقع فتاة لا واقـــع **فتى** وهذا هو الجديد والفتاة هنا أجرأ «حتى نصور مستقبلي» !؟ ونتساءل : لماذا تحرق الفتاة هنا المسافات ؟

هناك ممارسات عاطفية دخلت اليوم الشاشتين : السينما والتلفزة ولم تكن هذه الممارسات الا من نوع الاحلام وخيال اليقظة في الستينـــات ، ان هـــدى تمارس الجنس خيالا ، « انه يكاد يعتصرني اعتصارا » ص I5 . ألا قصصا لظهر الكبت الجنسي الذي عاصر العالم العربي عصورا •

فنحن ازاء مذكرات سرية على طوال 5 أشهر ــ واستعملت خلالها البطلـــة الجنس مع حبيبها خيالا ••• وانطفأ الحب بسرعة مثلما نشأ • وهنـــا غيـــر الكاتب بيت شوقي الشعري المعروف !! ونحن نعلم بالتجربة أن الحب بالنسبة للفتاة لا بد أن ينسجم الخيال فيه مع الواقع والا تحطم واندثر ومثالنا هنا هو **الضم** •

ومن هنا كانت الانحرافات الاخلاقية والتشريعاتية التي تطالب بحقوق الرجل لان المرأة كثيرا بل دائما ما يقع تقديمها على أساس أنها مجنى عليها ومن هنا الخيبة من الواقع !

(3) ــ **اللـــوحة** : هنا نحن بازاء نجاح فني والخاتمة فيها انفراج (لا ضربة الخاتمة !) ونحن نتساءل هل محمود المقصود (ص I9) هو محمود التونسي أم لا ؟ وهل هذا مرده اعجاب برسم التونسي ؟ على كل ، هذه الاقصوصة تحدثنا عن الاحلام الجنسية التي حللها كثيرا فرويد (Freud) وهي من نوع اشباع الحرمان بطرق تعويضية • وقد حلل الشاذلي الساكر هذه الظاهرة في كتابه : الكرونوبسيكولوجيا وقد حاول تفسير الالوان في الحلم : فالحلم **بالاخضر** هو علامة بشرى **والاحمر** يرمز للقلق والهيجان •••

(4) **الازرق والاحمر والاخضر** : (ص 20)

في هذه الاقصوصة نجد اللون الاحمر كفاصل حديدي بين اللونين الآخرين ونحن دائماازاء المدلول البسيكولوجي للون . وهذه الاقصـــوصة ذات عـــلاقة بأقصوصة **اللوحة** وبأقصوصة : **الحديقة في الشتاء** •

(5) **مـات الـدخـان :** (ص 29) هى أقصوصة جميلة مثلها مثل **أقصوصة لا شيء** !! (ص 86) التى حسب رأينا هى التى أوحت عنوان المجموعة القصصية ونجد فيها التقابل · وأما عامل **التغيير** هنا فهو **ذهنى** · فالحلم لا يرفض هنا الا القذارة والبؤس ··· وقد يكون الحلم نوعا من التخدير الـذى تستعملـه البرجوازية الامبريالية ··· وعلى كل نحن هنا مع أحد أبناء الشعـب الـذى استغلته البرجوازية ونحن هنا أمام **حلم يرفض الاستغلال** · وبعد هذا العرض **للاقاصيص التأملية** بالذات لا بد من التعرض لما يعتبره البعض هو امش وهو أمر جوهرى وأعنى به مشكل **اللغة** فنحن ازاء **أغلاط كثيرة** وقد أحصيت 100 خط ما بين **اخطـاء مطبعيـة ورسمية ونحوية** وثقافة عزونة الفرنسية ليست عذرا له خصوصا ونحن نجد أخطاء متكررة · فعزونه مثلا يصرف **الممنوع من الصرف** ويعرف المضاف ويجعل غير العاقل **عاقلا** مع أغلاط فى **التراكيب** ··· ولا بد للاديب ان يحتاط لهذه الاخطاء ويأخذها بعين الاعتبار عند طبعة جديدة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(ج) **أنيس الهمامى** (4)

أريد بادىء ذى بدء التعليق على ملاحظة الصادق شرف حـول **العـلاقة بين** عزونه والتونسى والمقابلة بينهما ـ فرغم معيشتهما المتماثلة **فان** انتاجهما **لا** يمكن أن يكون متماثلا ـ هناك الشخصية والطابع النفسى والذاتى ··· **والا** لصح أن نطالب عزونه أن يكون رساما ···

ان تجربة التونسى تجربة فنية وتجربة شكلية ·

أما **التأملية** فهى ليست مدرسة بل هى **منهـج** قـد يستعمله الـرومنطيقى والرمزى والسريالى · نعم اننا قد نجد البعد التأملى فى أى مدرسة · **ان افعال** الابطال عند عزونه كلها أفعال عقلانية · البطل هنا يلاحظ ويحس وهذا مطابق

---

(4) طالب فى علم الاجتماع والفلسفة ·

لواقعنا العربى حيث نبحث كلنا عن ذواتنا · فالقضية عند عزونه قضية **التزام** أكثر منها قضية اختيار : **فالشكل اذن عنده ما هو الا وسيلة لتقديم المحتوى** · فالتأمل هو وليد الالتزام ويتماشى مع قضايا المجتمع · لذلك لا يمكن أن ننقد التأملية بالضبابية والا لكان نقدنا شكليا بحتا ·

(د) **فاخر السوسى** (5)

عند بحثنا عن الواقعية فى كتابة عزونة ولا يمكن أن نعتمد فقط على أقصوصة: **واقـع شاب** لانها كتبت مبكرا · كذلك لا يمكننا أن نحكم على أثر ما من خلال نزعة عامة والا صار حكمنا جهنميا · فالحكم من خلال التيارات قد يحـد مـن حكمنا · ان لهذه المجموعة القصصية **موضوعا واحدا** أظن أنه **المستقبل** وذلك انطلاقا من العنوان ذاته : ·· **ويبقى السؤال** ويجب ربط العنـوان **بالاهـداء** وببعض الاقاصيص مثل : **الانتظار** .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والبحث عن المستقبل أو التساؤل حوله يطرقه الكاتب بسيكولوجيا ووجوديا منطلقا من الذات نفسها **ومحاولا اعادة الوعى بالذات** (Reconnaissance de soi) ويظهر هذا فى أقصوصة **نارسيس الامس** (عملية الخلاقة والنظر فى المرآة...) وهذا يذكرنا بتمثيلية **كاليغولا** لالبير كامو ؛ فهناك صراع مع **القناع** le Masque فى قصة : **الانتظار** مثلا ويتكرر هذا فى مواقع أخرى ومن **الاقنعة : القشور** نجد الالوان **كالازرق والاحمر والاخضر** ومثل : رغوة الصابون ···

فالمجموعة القصصية هى آخر الامر **دعوة لاعادة الوعى ولنزع القناع** . فهى عملية بسيكولوجية وجودية ·

---

(5) طالب فى الفلسفة ·

(هـ) **رضا بوعروة** (6)

الاخ المختار بن فضل قال : ان كتابة عزونة قد تكون واضحة أو هو يطرح السؤال ؟ ولكنى اعتقد أنه عوض أن يساهم فى حل الاشكال هو يزيد بالعكس المشكل تعقيدا .

وأنا أرى أن كتابة عزونه قد لا يفهمها الا المختصون ! هناك **صراخ** فى أماكن عديدة من المجموعة • وهذا الصراخ عبارة عن رمز **للمعاناة** التى يصفها الكاتب بطريقة غامضة أغلب الاحيان وحسب تصورى فان الصراخ رجوع للماضى • فالصراخ تعبير عن ألم بحثا عن الخلاص ونحن نعلم انه لا خلاص بدون ألم.

هذا من ناحية المنحى العام أو الجو العام للمجموعة ، أما من الناحية الادبية البحتة فهناك عند عزونه **نـزعة نحو أدب واقعى : ففـاطمة : أم فلسطينيـة والفرهود** يعيش بيننا وموضوع أقصوصة : **الدود والافاعى** هو وصف لظاهرة بدأت فى الستينات وتفشت فى السبعينات •

فنحن نجد فى القصص **التى كتبت فى الستينـات** نزعة تأملية رومنطيقية (مثلا كثرة الاشباح ...) فالكاتب يدرس واقعا خاصا •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما فى **السبعينات** فالواقع الذى تحدث عنه عزونة أكثر عموما وهو اذن أهم: فلسطين ـ المشاغل القومية (الفرهود والظواهر الاجتماعية **(الدود والافاعى)**، وهذا التطور يتماشى مع تجربة الكاتب السياسية •

ومع هذا نتساءل : هل مات **نارسيـس الامـس** فعلا ؟ قد يكون نارسيس المعجب بنفسه مات ! وقد يكون القبح الواضح منذ البداية قد قضى عليه ! وقد يكون القناع أزيل ! (الرغوة : قناع يتغطى به ...) لان هناك الجرح ، والجرح خلاق ويساهم فى عملية التجاوز ولكنى أظن أن نارسيس باق رغم المحاولات (7) •

---

(6) أستاذ التربية البدنية والرياضة ـ متحصل على جائزة رئيس الجمهورية

(7) يرى محمود التونسى أن هذه الملاحظات لرضا بوعروة هامة •

(و) **رأى محمد حلمى بوعزيز** (8)

ان هذه المجموعة القصصية تفرض علينا منهجا معينا للدراسة وهو **المنهج التكوينى** (Méthode Génétique) لانها تدل على هذا **التطور** الذى مر به المؤلف خلال الكتابة ونشرها ·

وأنا اذن وحسب هذا المنهج **أقسم المجموعة الى ثلاث مجموعات :**

الفترة الاولى : ان البطل واحد لم يتبدل وله خصائص :

● فهو **مراهق** بأتم معنى الكلمة ، له طبع معين **انطوائى** وهو مغـرق فى ذاتيته وفى انطوائيته ، متقوقع فى ذاته الى حد كبير ، حزين غالب الاحيان ، تسيطر عليه الظلمة والالم واليأس · ويظهر هذا فى أقصوصة : **نـارسيس الامس** انظر قوله : «العذاب المتجدد» أو «أظلمت الدنيا فى عينيه» · **أما فى واقع شاب** فنحن ازاء استبطان ملح فى ذاته ، فالمهم لديه هو **أن يحب** وهو يتأمل مشاعره ولا يجرؤ اطلاقا على الحديث «معها» · وحتى الفتاة **كرهت خجله** وارتباكه ، وحتى أمها انتبهت اليه ، ثم هناك **الرسائل** وقد انتهى بتمزيقها ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فالاحلام كثيرة : فى النوم وفى اليقظة بالخصوص ، ومعظم **المغامرات هى** فى الحقيقة من **أحلام اليقظة** وقد بينت مدرسة التحليل النفسى أن ذلك من باب **التعويض** ·

---

(8) أستاذ الفلسفة وعلم النفس ·
لقد كتب مصطفى المدائنى مقالا مهما عن مجموعة : **ويبقى السؤال** تحت عنوان : **الجحيم الذى لا يهدأ** · ونشر **بالعمل الثقافى** بتاريخ 19 أفريل 1982 ص 15 ·
كما تعرضت عديد الصحف الى المجموعة عند صدورها وعرفت بها بسرعة من ذلك : مقال بن زينب تحت عنوان : **عبثية قـدر الانسـان العاديـة** بجريدة : لوطون : 7/26 1982 ص 14 ـ وانظر كذلك ـ **الصباح** : 82/3/8 ص 23 ـ ومجلة **الحياة الثقافية :** عدد 21 جوان 1982 ص 124 ـ **والوحدة:** 47 ـ 2 ـ 1982 ص 3 ـ ومجلة **الفكر** س 27 ـ أفريل 1982 ص 139 ·

ويظهر هذا كذلك فى استعمال المؤلف بكثرة كلمة **الطبقة والطبقات فى اللوحة** مثلا وفى ميادين الادب والسياسة **(الغزل ...)** كذلك يستعمل بكثرة الموسيقى والرقص .

وتظهر انطوائية البطل فى **الذكريات** وفى **اجترار الماضى** كأن المسألة تعويض (بينما نحن لا نجد الماضى فى الاقصوصة) فأقصوصة : **الازرق والاحمر والاخضر هى** بالذات استعراض للذكريات (واللون **الازرق** رمز واضح الدلالة) ودليلنا هو استعمال المؤلف **بكثرة لصيغ الماضى** مع صيغ أخرى طبعا . ونجد أحلام اليقظة أيضا فى أقصوصة : **زهرات وقمر** وقد وفق المؤلف فنيا فى صورة الضفيدعات ونور القمر .

أما المرأة فهى البطلة بحق هى تسيطر وهى مركز هذه الاحداث والاحلام والرؤى ؛ لذلك نجد المؤلف يتحمس لها كثيرا ويتحمس لحقوقها (بخلاف ما سنجده فى قسم آخر من المجموعة ...) فى **واقع شاب** مثلا .

فالطابع الرومنطيقى بارز فى هذا القسم الاول : الوحدة والانعزال واللجوء الى الطبيعة ومناجاتها : الحدائق والشتاء والمطر والخضرة والغدير والحب .

الفترة الثانية وهى فترة انتقالية بين الاولى والثالثة فالبطل فيها فى تمزق ، يجذبه الماضى مع خواطر وأفكار جديدة فهو ما زال مشدودا الى الماضى (انظر أقصوصة : **مات الدخان)** . فقد ماتت الاحلام وكذلك الحياة الشاعرية وانتهى التقوقع على الذات (ص 29) : «لم أعد أسمع همس الدخان» لان الدخان مات . «كما تمنيت» ان الماضى لا يزال يشده : «أخاف أن لا تصدر منك الا الاحلام» .

ان البطل يعيش تحولا هاما : «سأعود للتراب وأذوب فيه» والتراب هنا يرمز لواقع الانسان ، ولكن هذه العودة لا تزال بعيدة جدا .

ولعل أقصوصة : **مرفأ فى الطريق** ، بعنوانها المعبر هى أحسن ما يمثل هذه المرحلة الانتقالية : « لقد برئت من مرضك القديم على ما أظن »

الفترة الثالثة : او الجديدة ، يخرج البطل عن ذاته ويصبح الآخرون موضوع اهتمامه : حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية تكثر فى هذه

الفترة مقولات جديدة مثل **العدالة** واستغلال الانسان واستعباده ، والثورة ، والقتل ، وهذه الكلمات استعملها الكـاتب بشىء من الالحـاح . والاقصوصة اللافتة للانتباه هى بلا شك : **الانتظار** :

«يقاتل آخرون من أجل قضية عادلة»

«الحارثون يموتون جوعا»

وأنا لا أذهب الى ما ذهب له البعض من أن الاقنعة هى رفـوة الصابـون ، الاقنعة هنا هى أقنعة البشر الحقيقة ، أى دمغجتهم ولكن سلاح البطل أمام هذا الواقع ويا للاسف يكون فقط : الانتظار فى حين أن المطلوب غير ذلك :

«تحركنى الريح (هنا الريح الداخلية) ← لاناضل» والنضال يتنافى مع الانتظار • بل يتطلب النضال «غسل الاثاث وغسل الثياب» كما فى أقصوصة **الفرهود** •

ونظرة البطل للمرأة تتطور ، بل هنا تغيير واضح ، لقد «مل الوحدة» التى ترمز للفترة الاولى ، انظر أقصوصة : **الـدود والافـاعى** (ص 70) • فالنساء أصبحن يحسن الزحف • والبطل يعنى فى الاخير عزوته الذى نعـرف أن نظرته تغيرت • ففى السياسة : انتهى عهد الوصاية على الثورة الفلسطينية التى أصبحت ثورة بأتم معنى الكلمة • وهذا واضح فى قصة : **فـاطمة ومى** قصة رائعة مع عدد آخر من القصص الرائعة فى المجموعة • فلننظـر مثـلا (ص 101) وصف الضحية التى تنهض • وهناك رمزية واضحة ورائعة (ص 94) حين يقول المؤلف : «ان زرع اعضاء جدد يستدعى تعريفا جديـدا للمـوت» وكذلك عندما يتحدث الكاتب عن الاصالة وفقدها ولو بقى حيا ...

أما فى أقصوصة : **لا شىء** فنجد حوارا رشيقا حيا • وهنا تبرز خصائص الفن القصصى بالخصوص ـ **فالحوار** هو موضوع فنى فى حد ذاته • بخلاف المرحلة الاولى من القصص فالهدف هو البطل ونحن اذن أمام لوحات قصصية يغلب عليها الاسلوب السردى وأما فى هذه المرحلـة الجديـدة فالمـوضـوع الاساسى هو « لعبـة الكبـار » وهذه هى اللعبـة السياسية ... وفى هذه الاقصوصة هناك أمر هام وهو «الكلامولوجيا» أى كثرة الكلام وتلك من اهم مشاكلنا ..

فالبطل اذن تطور بشكل واضح ، وهذا التطور تفرضه هـذه المجمـوعـة القصصية وهذا التطور بارز ولو أننا نقرأ المجموعة قراءة سريعة !

ولا بد فى الاخير من التعرض الى **الجـوانب الفنيـة** فى هذه المجمـوعة : **فالمؤلف وفق ـ فى القسم الاول ـ فى التحليل النفسى وفى تفسير نفسه** وتشريح داخله وتقديم ذاته للقارىء · ووفق أيضا فى وصف المرأة ، فهو يهتم بأدق التفاصيل « شفاه تطبق يبحث عما يوجد فى أسفل الـذقن ... » والمؤلف مغرم كثيرا بوصف لباس المرأة ، فهو يراه رؤية خاصة ، مع مقارنة المرأة التونسية العربية بالمرأة الاوروبية «السفسارى (سر مخبى ···) ويصف الشعر والمؤلف مغرم بمداعبة الشعر خاصة · وهو يهتـم كثيـرا **بالصـور الصوتية وباللون** وبالخصوص **بالازرق** وهو لون من الماضى يحن اليـه رغـم انفصاله عن المرأة ـ فهو **يعبد هذا اللون كالصوفى** تماما · أما **الخضرة فهى** لون مرتبط بالتفاؤل والامل وهذا قاسم مشترك عندنا كتونسيين · **وتترك** الخضرة فينا إحسانا عميقا ، والالوان بصفة عامة تترك فى مشاعرنا أحاسيس خاصة . وكذلك **البياض** « فأر أبيض (ملائم) وفأر أسود » (عمل منافق) .

كذلك **الصور السمعية الصوتية** طبعت عبارات الكاتب وجمله بحركية · فالموسيقى والرقص والمطر والمشية وحركات البطل أحمد (فى أقصوصة **فاطمة**) كل هذا فيه **توقيع** وموسيقى · أما عبارات عزونه فواضحة ولا اشكال فيها · ان الرمزية موجودة طبعا ولكن الرمزية شىء ووضوح العبارة شىء آخر · ولا بد من هذا التمييز ووضع كل مصطلح فى مكانه ·

واذا كان هناك خيال ورمزية فذلك من طبيعة الطابع الرومنطيقى الذى تحدثنا عنه فى الفترة الاولى . فالخيال يتلاءم مع الرومنطيقية . والكاتب بهذا الخيال نجح نجاحا واضحا فى خلق صور جديدة · والمراحل التى تحدثت عنها يمكن أن تحدد كالآتى :

المرحلة الاولى تمت فى الستينات والمرحلة الثانية وهى الانتقالية تكون فى آخر الستينات وفيها أضع أقصوصة : **الـدود والافـاعى** وهى بالضبط بدء المرحلة الاخيرة · وهذه الاقصوصة ليست من الفن فى شىء ، فالاسلوب هنا أقرب الى البحث منه الى شىء آخر ، فكأننا أمام تحقيق لا فن . فهنـا نقـد

واستدلال ومحاجة واستنتاج : «وهكذا ... ولكن ... ويكفى لتقتنع بذلك ...»

أما المرحلة الاخيرة وهى مرحلة الخروج من الذات ومرحلة تطليق التقوقع فزمنها السبعينات ...

(ز) **عادل الحداد** (9)

انى لم أقرأ المجموعة ولكن هناك ملاحظات سريعة أود الافضاء بها :

1 ـ فى خصوص كلام الصادق شرف حول الهيكلية ، ان الهيكلية لا ترد اللغة الى مجرد هياكل بل هى تريد توظيف اللغة . أى أنه لا بد أن نستنتج كل شىء من النص .

2 ـ هل غموض عزونه مقصود أم لا ؟ وهل نحن أمام نوع من التقية ؟ مثل تقية المعرى ...

3 ـ ان عزونه يستشهد بكتاب عديدين : سقراط ، هيجو ... أبو الحسن، حكيم يابانى ... الخ ونحن نتساءل هل ان تجربة عزونة تجربة انسانية عامة ام هى تجربة ذاتية ؟

أى هل نحن أمام ابداع ذاتى أم اننا أمام أدب ذهنى بحت ؟ وهل تأثر عزونة مثلا بميخائيل نعيمة وبتوفيق الحكيم فى **أهل الكهف** مثلا وببرناردشو وابسن الخ ؟

(ح) **محمود التونسى** (10)

لقد سلطت على مجموعة عزونه القصصية أضواء أنارتها فى أغلب جوانبها من ذلك علاقة النزعة التجريبية بكتابة عزونة وعلاقته بى وبالخصوص المنحى

---

(9) أستاذ فلسفة .

(10) أستاذ التربية الفنية ـ قصاص ـ له مجموعة قصصية منشورة ـ وهو رسام ونحات . وهو عضو مكتب اتحاد الكتاب التونسيين .

التطورى فى هذه الكتابة وقد كانت مداخلتا بوعزيز وبوعروة من أهم هذه الاضواء • ووقعت اشارة كذلك الى المواضيع مثل الوعى بالذات وتساميه الى الوعى بالمجموعة أى انتقال من الانا الى : **النحن** . ولكن هناك جانب لم يأخذ حظه وهو : **فن كتابة القصة فى جوهره** •

ان التعبير الفنى الادبى فى مجال القصة ينـاقش انطلاقـا **مـن مـواقف** مثل عدم الفصل بين الشكل والمضمون •

وهنا تكمن المشكلة ، فأنا أشعر بنفسى بعيدا عن جاول عزونة فى منحاه . ان الخطاب الحقيقى والنافذ والباقى هو الذى لا يكون خطابا مدلوليا ، بقدر ما يكون خطابا محمولا بهيكل الخطاب ذاته •

ان خطاب المدلولات ، هو فى جوهره ، وخصوصا اذا كان غير محسوس (ومن حسن الحظ أن خطاب عزونه ليس من هذا الحال الآن) **قـد يـؤثـر** ويتحمس له السامع لما يروج من قيم قد تكون صادقة أو غير صادقة !

ولكن ما يضيفه الفن والادب هو ما يخلخل المفاهيم من جذورها ، أى انـه لا يقدم المفاهيم جاهزة ، بل بعد مجموعة استنتاجات تكون موقف الكـاتب وقناعاته الداخلية الواعية وغير الواعية أى ما يفرزه الكاتب بصفة غير مباشرة لا ما يفرزه خطابه المباشر .

ومثلى على ذلك : التعبير عن الصراخ والغضب يكون ممجوجا اذا ما عبر عنه بالبصاق مثل ما نجده عند عزونه • وكان يمكن لذلك الغضب أن يتفجر فى الاسلوب وفى البناء الهيكلى للاثر الفنى • فأنا لا أخلط بين الواقع وصورته فعندما نكتب نخلق بالصور **والواقع يكون فى ذواتنا** لا فى الواقع ذاته • وهناك من الكتاب من يخلط •

ففى أقصوصة : الدود والافاعى يتدخل الكاتب مباشرة فى الواقع • فيفقد الابداع الكثير من عدم هذا التباعد • ونحن فى الحقيقة لا نشيح بنظرنا عن الواقع . بل ان بعدنا يمكننا من طرح الواقع من جميع جـوانبه وبأكثـر شمول حتى لا يصبح الاثر جزءا من الواقع والا يفقد الكاتب الكثير من ذاتيته

ويصبح سجين الحدث وعقده ولا يمكنه عندئذ التخلص من ذلك حتى يسيطر علينا الواقع تماما ٠

نعم ، هناك من ينقد هذا المنحى نقدا وجيها ويصفه بالادب «البرج العاجى» وأنه يتجه نحو الشكلانية ٠٠٠

ولكننا اذا كنا نريد للكتابة اثراء التصورات وابداعها ، لا مجرد اعادة الشعارات ، قلت اذا كنا نريد للكتابة ابداع تصورات جديدة فلا بد من هذا المنحى والا فاننا لن نتمكن من الاتيان باضافات وحلول جديدة ٠ **لان الادب الواقعى لا ينتج معرفة ولكن ايديولوجيا ٠**

ونحن أمام مجموعة عزونه نعتقد أننا أمام تجربة حياتية لها دورها الكبير فى هذا الانتاج ، ورغم صدق العبارة والاحساس العميق بالتجربة فهذه الكتابة ليست نسيجا ذهنيا بحتا ٠

وهناك ولا شك نواحى ايجابية فى هذا الانتاج ولكن هناك الصياغة الفنية التى تفتقر لعنصر مهم . نعم الحركة موجودة ولكن لا بد من تنظيم الحركة والنسب حتى تكون للخطاب قوته الجمالية ٠

مندوب قصص

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجـــوه فـى المـــديـنـة

مجمـوعة قصصيـة لبـوراوى عجينـة

سعر : 1،500 د. ك

سمير العيادى :

البرنس الذى نسجته لى جدتى بعد موتها

جدتى ماتت . شيعها فى ضحى اليوم واحد وعشرون شخصا ـ لم يبالوا بريح الخريف الباردة حسب زعم امام المسجد ـ الى قبرها فى الربوة الموحشة التى ستختفى وراءها الشمس بعد قليل .

وصلت الى القرية فى سيارتى بعد صلاة الظهر . كان امام المسجد فى خلوته يراجع بعض السور . لم يسألنى عن سبب تأخرى ولم أطل المكوث عنده رغم أنى أدرك أنه يستأهل شكرى على عنايته بالجنازة ، توجهت الى دار جدتى كما لوكنت أريد اللحاق برائحتها .

ARCHIVE

كانت أشغال بمعمل النسيج العاصمة حالت دون أن يصلنى تلغراف قابض البريد فى الصباح . لعلها كانت تحول دون سفرى كذلك رغم وعدى لجدتى بأن أدفنها بنفسى يوم تموت . معمل النسيج الذى أسسته منذ ثلاث سنوات لم تكتمل تجهيزاته بسبب اجراءات التوريد التى لم أقرأ لها حسابا . امام المسجد والجيران وبعض الشيوخ الذين كانوا يترصدون فى المقهى كل مناسبة لتحدى خمولهم والمشى خارج القرية لمشاكسة الموت بجدهم وهزلهم قاموا باللازم . ربما قصدتم غدا لشكرهم وتقبل تعازيهم . غدا أعطى قابض البريد دينارا ومائتى مليم مقابل التلغراف . ثم أبيع الدار أو أوكل بيعها لاحد المتطوعين .

جدتى كانت تعيش وحيدة. وكنت وحيدها. ولا اعرف متى ستنهمر دموعى.

فى بيتها المظلم هذا لم أجد مصباحها . اشتريت شمعة اشعلتها واشعلت سيجارة . ثم جلست على بساط من وبر الابل كانت تنام عليه جدتى . مرت ثلاثة أشهر دون أن أجلس فى هذا المكان. منذ ثلاثة أشهر كان نيرا رغم شحوب المصباح . كانت جدتى لا تكلمنى كثيرا . لكن سعادتها عندما آتى لزيارتها كانت تشع فى عينيها وفى شفتين كمشهما العمر . قالت لى منذ ثلاثة أشهر هل صرت

تبيع منسوجاتك دون أن ترينيها ؟ قلت لها منذ ثلاثة أشهر : انها نفس المنسوجات التى قلت عنها انها لا تضاهى ما تنسجين . وضحكنا . وها هى ضحكتها الخافتة لا تزال بين عينى .

عيناى لا تأنسان الى ضوء الشمعة ولوالب الدخان المتصاعدة من سيجارة مرة . غير انهما يلحان فى التدقيق استكشافا لما خلفته جدتى . انهما يرهبان هذه الورثة التى ستشغلنى . ربما صعب على ان أجد غدا من يشتريها أو يقبلها وديعة . عفش مبعثر ، بعضه علق بالسقف فى خيوط الرتيلاء ، وبعضه شد الى أوتاد نخرة مندسة بين حجارة الجدران المهترئة ، والبعض الآخر مرمى على الارض الطينية فى سكوت النسيان .

لقد بدأ النسيان يدب فى بيت جدتى . واعتقد أن عنزها كذلك قد نسيت طريق الرجوع ، أو لعل احدى الجارات آوتها عندها مع عنزاتها أنا نفسى نسيت أسماء الاوانى وما عبق فيها من زيوت ومؤن وتوابل ومصبرات التمر والزيتون والهروس والقديد وكذلك الحشائش البرية التى كانت دواء جدتى الوحيد .

نسيت . نسيت فعلا أن اتلفن الى زوجتى ـ قبل ان يغلق مركز البريد ـ لاعلمها ببقائى فى بيت جدتى الى يوم الغد . أو الى يومين او ثلاثة أيام . لكن زوجتى تعلم أنى هنا . لاشك ان عامل الهاتف بالمعمل قد بلغها ما أمليته عليه قبل انطلاقى من العاصمة . فلعلها تدرك أنى أريد أن أقضى ليلة أخيرة فى رحاب البيت الذى به ولدت وتربيت وتعلمت دون أن اشعر باليتم مرة واحدة بعد فقدان أبى الذى قتل فى الجبهة السورية تحت لواء الحلفاء ، وموت أمى التى لدغتها حية عندما كانت ذات ليلة فى حدود الواحة تلتقط الجراد الذى صرت أعاف أكله مقليا أو مشويا منذئذ . زوجتى لم تر جدتى أبدا . انها لا تحب زيارة مثل هذه القرى المهجورة بين رمال الصحراء . لعلها لا تحب جدتى لكنها لا تصارحنى بمثل هذا الامر حتى لا تثيرنى . قالت لى ذات مرة : ألا تعتقد أنك تطيل البقاء عند جدتك الى حد اهمال شؤون المعمل أياما وأياما ؟ ثم ابتسمت وأضافت : أنا لا أغار من جدتك طبعا، لكنى أعتقد أن ما ترسله اليها من مال وهدايا يغنيك عن السفر اليها فى كل فصل . قلت لها : أخاف أن تموت جدتى دون أن أكون بقربها أو دون أن أعلم . قالت : لم لا تأتى بها حتى تكون قريبة

منك دائما وتموت فى بيتنا اذا قدر لها أن تموت . قلت : هى التى ترفض، كلا ! زوجتى لا تكره جدتى ، لكنها تخاف من أن أنفذ مشروعى لتأسيس فرع لمعمل النسيج بالقرية والبقاء به لاكون قريبا من جدتى . عندئذ قد أرغمها على التحول معى الى الصحراء التى لا تعرف عنها غير أساطير يتناقلها اهل المدن عن الرمال الزاحفة والعقارب القاتلة والمياه المخربة للاسنان والامعاء دون اغفال الشمس ولهيبها الذى يصلى البشرة .

لقد نسيت السيجارة فى يدى حتى لسعت نارها اصبعى الوسطى فقمت مذعورا لا أعرف أين أرمى بها . خرجت من البيت . قذفت السيجارة أوعقبها فى غدير قرب البئر تجمعت به مياه أهملها الدلو . وظرت الى سيارتى الرابضة قرب نخلة وحيدة فى هذا الحوش الواسع الذى كان فيما مضى مرتع لهوي مع الكتاكيت والجديان والجراء . لو عدت الآن الى العاصمة ؟ لقد انتهى كل شيء . ولم يبق ما يشدنى الى هذه الدار سوى ذكريات أحملها أينما سرت . لو ركبت السيارة ورحلت توا عن ماض لم يعد يهمنى بقدرما تهمنى الدفعة الثانية من المغازل والمناسج الآلية التى وصلت منذ أسبوع الى ميناء العاصمة ؟ انى أرهب الطريق فى ظلام الليل . خمسمائة كيلو متر . سيارة سريعة فى الطريق السريعة لكن !.

هل ترانى أقدر على السياقة قبل أن ينزل دمعى ؟ . . .

هممت بالعودة الى مجلسى فى البيت فلمحت مجلس جدتى فى السقفية . كان خاليا. جذوع نخل ممددة غطتها حصيرات من السعف المجفف، اتكأت على جدار البيت ، وعلى جذع نخلة مربوط الى جذع نخلة واقف قرب جرة مهشمة . لعلها الجرة التى شربت منها منذ ثلاثة أشهر .

اتجهت الى السقفية مدفوعا برغبة خفية فى أن أجد جدتى جالسة كعادتها وراء منسجها . كان الصمت ثقيلا . وكانت أخشاب المنسج مرمية فى الركن الى جانب الجدار لا تتحرك . ولم أر الحصير التى كانت تجلس عليها جدتى منذ ثلاثة أشهر . لو قدر لى أن أحقق مشروع تأسيس فرع للمعمل فسأبنيه هنا ، على أنقاض دار جدتى ، وسيكون برج مراقبة المغازل والمناسج هنا ، حيث أقف

الآن ، فى سقفية جدتى ، قلت ذلك لجدتى منذ ثلاثة أشهر ، فلم تجب ولم تعلق شغلها خيط سدى تقطع فجأة ، ربطته وقالت : هـل تريد أن أنسـج لـك أو لزوجتك شيئا ؟ ففضحكت ، ولم أجب ولم أعلق .

عثرت فى كيس من الصوف الاسود وفى كبتى سدى ، فجمعتها ووضعتها الى جوار اخشاب المنسج وقد بدأت أشعر بالبرد . رأيت مغزل الصوف مرميا قرب الجرة فرفعته من الارض وتشممته ، ثم القيت به فى الركن كأنى لم أكن أرغب فى حمله معى تذكارا . أخذتنى قشعريرة وارتجفت . فطنت الى برودة الهواء وأكد لى صوت آذان المغرب أن الشمس غابت . قصدت السيـارة وأخذت منها معطفى وحقيبتى وغطاء صوفيا اشترته لى زوجتى فى احدى رحلاتها الى أوروبا من مغازة تبيع جميع ما يحتاجه سواق السيارات فى سفراتهم الطويلة . ثم عدت الى البيت . وعلى البساط الذى لا تزال رائحة جدتى عالقة بوبره ، عزمت على أن أنام قبل ان يفيض حزنى .

لم تنزل دموعى عندما أطفأت الشمعة . لكن جفونى سرعان ما التحمـت . حسبت أن النوم أسعفنى . الا أن ما حدث فجأة خارج البيت أيقظنى ليدفع بى الى تخوم الجنون .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حشرجة خافتة . ربما كانت صادرة عن دبيب الحشرات فى ثقوب الجدران ، لكن الاصوات التى تصاحبها . . ! أخرجت من حقيبتى فانوسا صغيرا وضغطت على زره راجيا أن تكون بطاريته لم يخلص منها ما بقى فيها من كهرباء . قويت الحشرجة عندما شع النور فى أرجاء البيت . ربما ذعرت الحشرات . أى نوع من الحشرات ؟ كم من نوع من الحشرات ؟ هذه الادباش فى مكانها ، معلقة أو جاثمة فى أركان البيت ، وأوانى الزيوت والمؤن مغطاة ، ولا حراك غير تمطط ظلال الاشياء المبهورة بنور الفانوس فى السقف وعلى الجدران وفوق الارض . الا ان الحشرجة ما فتئت تقوى بل ان قرقعة متقطعة صارت تصاحبها . هل تكون عنز جدتى قد عادت وبقيت أمام الباب الموصد تنقره وتحكه بحوافرها تارة وبقرنيها تارة ؟ لكن الاصوات قريبة منى . وباب الحوش بعيد ، فى الطرف المقابل للبيت لا يسمع طارقه الا اذا نادى بصوت عال، عطست ثلاث مرات على التوالى. وكاد الفانوس يسقط من يدى ، ارتعش جسمى ، وسرت بين كتفى وفى شحمتى

اذنى حرارة ، وتكور الالم فى ركبتى اليمنى انذارا بأزمة قريبة أعانى فيها ويلات روماتيزم مفصلى حاد لا يزال عالقا بى ، يشاكسنى كلما تغيرت الفصول وتغافلت عن صحتى فى مكان ذى رطوبة ما، رحم الله جدتى، فى صغرى،عندما انتابتنى الازمة الاولى ، جرعتنى مياها ملونة غلت بها حشائشها . وكاد القلب يتورم وينسد لو لم أعرض حالى ذات مرة على طبيب المدرسة الثانوية . بعد قليل لن أكون قادرا على الوقوف . فلانهض الآن ولأخرج . ولأنظر خارج البيت ، لعل أحدهم حدثته نفسه وجاء ليسطو على دار امراة دفنت فى صباح اليوم ، ولم يعرف لها عائل منذ أمد . لاشك ان أخلاق القرية تمنع ذلك ، ولكن ..

كم الساعة الآن ؟ انى أسمع صوت آذان العشاء . أين مصطفى ؟ لا بد أن اندس بكامل جسمى فى مختلف ثناياه حتى لا تنهشنى أفواه البرد الفولاذية التى تراود ليالى الخريف فى الصحراء . هذه النجوم الساطعة فى بحر من الحبر المعلق ، ما بالها تظل بلا حرارة ؟ ما بالها بعضها ذابل وبعضها آفل ؟ كل شىء ساكن . حتى جريدات النخلة الوحيدة المنتصبة فى الحوش . والصمت سميك ، يثقبه شعاع فانوسى الذى يجيل النظر داخل السيارة فيطمئن بالى .

لقد خيم الهدوء من جديد . اشتدت الحمى ، وتفصد العرق ، نديت كفاى . ثقلت كرة الالم بركبتى . لم افهم لماذا توقفت الحشرجة فجأة . وكذلك القرقعة ووقع خطى خفيفة . ونور مصباح شاحب يرتعش هناك فى سقفية جدتى الجالسة وراء منسجها .

ماذا ؟ ...

أرمى شعاع الفانوس فى ركن السقفية . وفى دائرته لا أرى شيئا . اخشاب المنسج لا تزال ممددة . وكيس الصوف وكبتا السدى والمغزل حتى الجرة المهشمة . ولا أثر لمصباح جدتى . ولا شاهد على أنها منذ لحظة فقط كانت جالسة هناك تصنع نسيجا أسود . فلادخل قبل ان تطيح الحمى بعقلى . فلادخل ولاطفىء الفانوس قبل ان ينزعج الجيران . هل تعاتبنى جدتى لأنى لم أبك على فقدانها ؟ فلادخل ولانتظر . لعل الحمى تساعد دمعى .

يا بيت جدتى دثرنى .. وهل يدثرنى هذا البيت فى غياب جدتى ؟ سيقتلنى البرد . ستقتلنى الرطوبة . وهذه الوحشة التى بأت تملأ الظلام وتضغطنى .

ستقتلنى هذه الحشرجة وهذه النقرات وهذه الموسيقى المتصاعدة فى رتابة من جوف الليل وخازة . أجل . ها قد عاد سمعى يتقبلها ، يتحملها ، يتأملها . كلا . لن تتوقف ولا أعرف كيف أوقفها . فلاضع أذنا على البساط وفوق الاذن الثانية محفظتى ولاغمض عينى . لن أنهض ثانية ولو كان فريق من السراق يعاينون خلاء الدار ، ولو هجموا هجمة واحدة على البيت ، لن انهض ثانية . انى ارتعد . انه البرد . انى أتألم . انه الروماتيزم . لو أنام ساعة واحدة ! تكفينى كى أستعيد قوتى ثم اركب السيارة وانطلق الى العاصمة . هناك تنتظرنى أعمال لا مناص من اتمامها قبل ان أعرض جسمى على الطبيب . أعرف ما سيقول . الاسبرين . فى محفظتى علبة أسبرين تلازمنى فى حلى وترحالى . فلآخذ قرصا ، بل قرصين . عندما أتسلم المغازل والمناسج الجديدة وأضعها فى الجناح الجديد واراها تعمل ، عندئذ .. كلا . لن ارتاح أبدا . لا أستطيع أن أهمل المعمل ما دامت مدينا للبنوك . لن أفرط فى انجاز حققته بعد أن حرمت نفسى من ملذات الدنيا ورهنتها ، رهنت نفسى والدار ومصوغ زوجتى الذى ورثته عن أمها والذى اشتريته لها . ودار جدتى ؟ ألم أرهنها هى الاخرى ؟ كيف افكر اذن فى بيعها ؟ لا شك أنها لا تساوى شيئا . لكن البنوك ، أصحاب البنوك يقدرون كل شىء ، ويحسبون ألف حساب . ليست الدار التى يعتبرون بل الارض . قطعة من الارض فسيحة ، قريبة من الطريق المعبدة ، فى وسط القرية التى لا تبعد عن المركب الصناعى المتسامى الا كيلو مترات معدودات . لكن أين الماء ؟ كيف أبلع قرصى الاسبرين بدون ماء ؟ على أن أخرج وأن أذهب الى حد البئر . ما حيلتى هذا شعاع الفانوس يتجول فى ارجاء البيت ولا يعثر على بوقال أو مشرب أو طاسة . فلأخرج اذن ولابق قرصى الاسبرين بين أسنانى كى لا يبلهما الريق فيتفتتا . انى أعاف طعم الاسبرين .

قويت الحشرجة . عندما وقفت فى عتبة البيت . توقفت النقرات لحظة ثم عادت فى رتابة قاسية . ارتفعت الموسيقى الوخازة التى تأتى بلا ريب من باطن الارض حيث يعزفها أساطين الفن عند الحشرات تمجيدا لليل الساكن أو اثارة لليل الصامت . أحس فجأة بأن شخصا ينظرنى . اطفىء الفانوس لعلى أتلمحه فى الظلام دون أن يفطن وأجيل النظر . النخلة والسيارة والبئر .. ها هى قد عادت . انها نفس الصورة . صورة جدتى وهى جالسة فى السقفية وراء منسجها تعزف عليه بيدين بارعتين . ترفع القصبة . ترمى المكوك بين خيوط السدى .

تخز خيط اللحمة بمرودها تارة وبالخلالة تارة . تنزل القصبة . أشعل الفانوس واصب شعاعه عليها . لا شيء . امحت الصورة وسكتت الموسيقى . أطفئ الفانوس . جدتى تمرر ابهامها ووسطاها بين خيطى سدى وبسبابتها تدعونى اليها . رجلاى ثقيلتان وفى ركبتى نار حارقة . أتحرك . وفى كل خطوة أشعر بالموسيقى الوحشية تعاند نبضى . ماذا تريد منى جدتى؟ تضع سبابتها الثانية على فمها . فمها يبتسم . لكن ماذا تريد ؟ تعال واسكت . لم أسمعها تتكلم لكنى أدركت . أو ربما هى ذاكرتى . نعم جدتى . ها أنى آت . طفلك محموم يا جدتى قد جافاه النوم . دثرينى يا جدتى . أو فاتركينى أركب سيارتى وارحل. أرحل الآن . لقد ضقت بموسيقى عظامى . كلا . لن أشرب ما تشربين . هـذا الذى تطبخين على كانونك ذى العيون المزمهرة لا ينفعنى . أنا الآن أمضغ الاسبرين. الاسبرين مر . الاسبرين تفتت بين أسنانى . ريقى حشرب فى فمى . أعطينى جدتى مما تشربين.أجل.آخذ الكأس من يدها وأرمى بالسائل الساخن الاسود فى فمى وابلعه . بلعت ريقى والاسبرين . وخزرت الى جدتى . انها تضحك بلا صوت . طبعا مر . مر زقوم . ماذا تريدين منى الآن ؟ أشارت على بالجلوس . امتنعت . صوبت نظرها الى النول . وجهت سبابتها الى نسيجها الأسـود ثم الى . وابتسمت . ثم عادت تعزف على منسجها موسيقى اللامبالاة . وفى عينى زمهرت نار الحمى . قالت جدتى . متى قالت جدتى ؟ هـذا آخر نسيجى لك . كلا ! لم أسمع هذا القول . منذ ثلاثة أشهر كانت جدتى فى هذا المكان وكانت تقول : هذه آخر زياراتك يا ولدى قبل ان يصلك نعيى ، فهل تتذكرنى ؟ أشعل الفانوس ، تمحى الصورة وتسكت الموسيقى . أطفىء الفانوس . تقول جدتى : اذهب الآن ونم فى بيتى قليلا قبل أن تركب سيارتك وتأخذ الطريق . أشعل الفانوس هناك فى الركن يتمدد المنسج وليس على النول سوى غشاوة من الرمل

فجأة يهزنى صوت آذان الفجر فيفلت الفانوس من يـدى دون ان ينطفىء . بعد قليل يطلع الصباح . أجرى نحو البيت . أدخله وأتحسس الظـلام لالتقط محفظتى ثم أخرج مسرعا الى السيارة . لقد كبتت المى وكظمت وجعى ولما تنزل دموعى . .

أفتح الباب أولا . هناك فى الطريق بعض الخيالات تتجه الى المسجد . لا تبالى بى ولا أبالى بها . أعود الى السيارة . أرمى بها المحفظة وأرتمى بها . أدير المفتاح

فيزأر المحرك وتتجه اضواء الفانوسين الاماميين الى السقفية . لم تعد هناك جدتي . أعفس المعجل فتنطلق السيارة رويدا رويدا وأدير المقود فيقابلني الباب مفتوحا على يوم جديد .

وفي الباب وقفت جدتي ، ماذا تريد ؟ انها تتجه نحوي مسرعة وفي يدها اليمنى بيضتان . صباح الخير يا ولدي . هاتان بيضتان غليتهما لك فاشربهما قبل أن تتوكل على الله . كلا ! انها ليست جدتي . انها تخرج من تحت بخنقها قطعة من النسيج الاسود وتقول : هذه لك ، نسجتها لك المرحومة وتركتها عندي حتى أعطيك اياها . انها جارة جدتي . كيف لم أعرفها ؟ قالت : كانت تخاف ألا تجدها بنفسك في البيت عندما تأتي وتنشغل بالمأتم ، فكلفتني بأن اترصد ساعة رحيلك وأضعها بنفسي في سيارتك حتى لا تنساها . كيف أنسى جدتي ؟ تذكرت الجارة شيئا فقالت : جدتك كانت دائما تتمنى أن تراك ملتفا في برنس أسود من الوبر الجيد الذي لم يعد من ينسجه سواها .

لا أعرف كيف أجيب ، أعفس المعجل من جديد فتنطلق بي السيارة تاركة في عيني الجارة اكثر من علامة استفهام وفي عيون الخارجين من المسجد اكثر من علامة عتاب . هل أعود لزيارتهم مرة أخرى ؟ كيف أنسى جدتي ؟ هذا برنسها . انه لن يعوض لزوجتي الغطاء الصوفي الذي اشترته لي في احدى رحلاتها الى أوروبا والذي خلفته في بيت جدتي مثلما خلفت الفانوس . لكنه سيذكرني بجدتي أبدا أبدا وسيدثرني . دائما .

الآن خرجت من القرية . وصلت الطريق السريعة . لم يعد يفصلني عن مغاغل المعمل الا بعض ساعات . طلعت الشمس لتذيب الظلام . لكن البرد لا يزال شديدا . ولا تزال موسيقى رتيبة تتصاعد مع الحمى فتغطي صوت المحرك . ساعة واحدة تكفيني لاستعيد قوتي . ساعة من النوم . أوقف السيارة في جانب الطريق. أسكت المحرك أو ربما كان ساكتا. لم أعد أعي سوى صوت الحمى . آخذ نسيج جدتي أتدثر به واتمدد على المقعدين الاماميين . بل أتكمش .

آه ! ازمهل حزني وسالت دموعي . دموعي تسيل .

سمير العيادي

يوسف سلامة

مـن يوميـات مـواطن صالـح جـدا

٠٠ الطريق العريض يمتد بلا نهاية ، والحر لا يطاق ، وهـذه الكـراسى الحديدية المتناثرة ينخرها الصديد ٠ والعيون ثاقبة ، متلصصة ، ماكرة تنهش رغم الغبار والاتربة ٠ وهذه الزنود المعروقة ، والافواه اللاهثة ٠ وهذا الزحام يولد وجعا فى الرأس يتضخم ،، وضيقا فى الصدر يخنق الانفاس ٠٠٠

والمطلوب أن أسرع الخطى ٠ «عند الاشارة تكون الساعة السادسة وتسعا وخمسين دقيقة وعشرين ثانية ٠٠» لن أجلس بمقهى «تونس» مثلما تعودت كل صباح ، اتابع من خلف الزجاج ما يحدث وسط الشارع العريض الممتد بلا نهاية ٠٠ وانتظر صاحبة الفستان الابيض ، تتوقف عند الجانب الآخـر من الرصيف ، تنتظر الضوء الاخضر ٠ والمطلوب أن أسرع الخطى ، وأجد مسلكا وسط هذا الزحام ، وهذه العيون ، وهذا الهمس ٠٠ أبحث عمن عكر مزاجى هذا الصباح.من المفروض أن أكون فى قمة نشوتى.وأكثر من كل ذلك. ها أن كل ما يدور حولى ، وما يحيط بى ، يسير على أحسن ما يرام ٠٠ فأنا كما قيل ، رجل محظوظ جدا ٠٠ لقد سمعتهم يهمسون بذلـك وأنـا أهـم بالدخول الى مكتبى ذات صباح ٠ ولو تمكنت من الوقوف لحظة خلف بـاب ذلك المكتب الذ ىانبعث منه الهمس ، لتمكنت من سماع كل ما دار بينهم ، الا ان وقع تلك الخطوات عند منعطف فى نهاية الممر أربكنى .. والمطلـوب ، ان التحق بمكتبى ، وان انجز ما بقى : مراجعة بعض التقارير الهامة قبـل احالتها على بعض الدوائر الرسمية ، وعند الاقتضاء الاشارة الى بعض الاخطاء بقلم الرصاص ، اذ لم يعد هناك متسع من الوقت لاعادة الرقن من جديد ٠ ثم التأكد من بعض المواعيد ذات الاهتمام والمصلحة العليا ، والتأكيـد عـلى بعضها ، او الغاء البعض الآخر منها ، متى حتمت الضرورة ذلك ٠٠

أنا ٠٠ اليوم فى عجلة من أمرى ، والطريق تمتد بلا نهاية ٠ اليوم بالذات مللت هذا الاطار الذهبى المعلق بالمكتب يواجهنى (فى التأنى السلامة ٠٠) ورغم الخط الرقعى الجميل الذى كتبت به هذه القاعدة ، فقد وقعت وصلا،

لاستبداله بمنظر عام لاحدى المنجزات الاقتصادية او السياحية ، تبعث فى النفس طمأنينة وارتياحا ·· وان بادر «عم صالح» بتنفيذ ما أؤتمر به ، فقد لمحت احتجاجا فى عينيه لم يتمكن من الافصاح عنه ، بعد ان تأكد انى قد انشغلت بـ «أمور» أخرى ·· فانسحب من المكتب بهدوء عهدته فيه منذ سنوات عديدة ..

اليوم فقط تأكدت أننا فعلا قد دخلنا عصر السرعة ··

صدفة غريبة ، البارحة فقط ابنى «غصن» يغتنم فرصة انشغال والدته فى اعداد الشاى ، ليحدثنى عن عصر السرعة ·· واعترف هنا ، اننا اختلفنا فى الرأى ·· فهو ، مع تأكيده واقراره بحتمية ما آل اليه العالم المعاصر ، فقد تشبث برأيه المخالف تماما لوجهة نظرى ·· سعيت الى اقناعه الى ان معايشة الواقع ، تفرض مواكبة للعصر ، دون السؤال ان كنا قد دخلنا هذا العصر من الشباك او الباب ··· حين هم بالكلام ، أقبلت زوجتى تحمل الشاى · سكت · وقطعنا المناقشة ، اذ هى قد عودتنا برفضها المطلق الدخول فى مناقشات لا تتصل بنوعية الاتربة ،، أو الطبقات الارضية ،، وتنوعها من منطقة الى منطقة ،، وأنواع السحب ، وعلاماتها .. و .. و ..

الطريق تمتد بلا نهاية ، والحر لا يطاق ، والزحام على أشده ، والزنود معروقة ، والمرور يكاد يكون مستحيلا فلن أجلس بمقهى «تونس» مثلما تعودت كل صباح ، أتابع من خلف الزجاج ما يحدث وسط الشارع العريض الممتد بلا نهاية ، انتظر صاحبة الفستان الابيض ، تتوقف ، تنتظر الضوء الاخضر.. وأنا ،، فى عجلة من أمرى ·· ولعنت فى سرى تلك الفئة البائسة ، التى كانت سببا فى تحديد ساعات العمل ،، لو كنت أعرف هذا الذى لبى رغبتها·· فثمانى ساعات من العمل ، بصراحة مطلقة ، لا تكفى ·· تصوروا أن أكثر من نصف هذا الوقت يضيع فى المكالمات الهاتفية ، والمواعيد الطارئة ، والمناقشات الهامشية ،، أو التنقلات الهامة الى بعض المناطق · حتى صديقى ـ ص ـ صاحب تلك البطاقات الصحفية ، التى تعودت قراءتها كل صباح ، كتب فى هذا الموضوع ،، واختار الوقوف جانب هذه الفئة ··

وقد تعودت زيارته ، فيحدثنى عن بعض المسائل ،، فأسهب فى الحديث متعمدا التلميح ، فأشير الى بعض المسائل أو المواضيع ، التى أود التطرق اليها من خلال مقالة أكتبها الا أن ضيق الوقت كان دوما حائلا بينى وبين

هذه الرغبة الملحة • بل أذكر أنى وعدته أكثر من مرة بمقالة حول موضوع ما ، أدعى أننى بصدد كتابتها •

ويفاجئنى ببطاقاته الصحفية ، فأزهو لذلك ، كأن أكون أنا كاتبها .. ورغم همس بعضهم ، فقد ادعيت أكثر من مرة أنى صاحب الفكرة و ••• أذكر أنى قد كتبت شيئا ما ،، بعض الاسطر ، لو عدت الى أوراقى لوجدت تلك الجذاذة •• أذكر أنى قلت :

« لا شىء فى الافق ••
لا شىء على امتداد البصر ••»

وصوت على ما أذكر يقول لى :

«تثبت جيدا ••»

فـأردف :

«البحر ، يغرق فى الصمت
والمركب تتقدم المواكب ••
وهذه النوارس •• تخيط الدهر ، ترفعه •••»

الى أن أقول :

« لا شىء فى الافق ••
لا شىء على امتداد البصر ••»

الطريق تمتد بلا نهاية ، والحر لا يطاق ، والزنود معروقة ، والزحـام على أشده يولد وجعا فى الرأس ، يتضخم ، وحركة المرور مضنية ، فلن أجلس بمقهى «تونس» مثلما تعودت كل صباح ، أتابع من خلف الزجاج ما يحدث وسط الشارع العريض الممتد بلا نهاية ، أنتظر صاحبة الفستان الابيض ، تتوقف ، تنتظر الضوء الاخضر •• ويلزمنى بعض الوقت حتى أفرغ من هذا العمل الطارىء والعاجل ،، قبل تلبية هذه الدعوة الكريمة التى وجدتها هذا الصباح فوق مكتبى للمشاركة فى منبر حر باحدى الكليات الجامعية •••

يا لها من مفاجأة ،، ولفتة كريمة ، أسعدتنى هذا الصباح ••• وان تظاهرت باللامبالاة ، وبعض الذين دخلوا مكتبى يسرقون النظر فيلتهمون هذه الدعوة،

التى تعمدت تركها فوق مكتبى بصورة يسهل الاطلاع عليها دون عناء ،، فقد شعرت باعتزاز كبير .. وهى دعوة بصراحة تنم عن مستوى حضارى رائع .. وكيف لا ؟؟! ...

أعددت كلمة شكر على هذه الدعوة اللطيفة ، وان كنت قد احترت فى بادىء الامر فى ايجاد طريقة ما أدخل بها معهم .. افتتحت كلمتى بـ :

«رفاقى رفيقاتى ..» الا انى تفطنت الى سقوطى ربما فى تحالفات لا أريدها ..

«أبنائى ، بناتى» هذه الصيغة هى الاخرى أمقتها . فقد اطلعت فى المدة الاخيرة على دراسة لاحد الاساتذة ، نسيت اسمه ، حول المجتمع العربى ، خلاصتها أن مجتمعنا هذا ،مجتمع خاضع لسلطة الاب ، بجميع أنواعها وأشكالها ، اعترف ان تأثيرها على سلوكى كان جوهريا ،، لذلك فضلت اخيرا افتتاح كلمتى بـ :

« أصدقائى ،، صديقاتى ،، » وان كانت بعض الاحترازات قد دغدغتنى والمسألة ليست سهلة كما كنت أحسب . والوقت يمضى .. والوجع فى الرأس يستقر ويتضخم .. ويلزمنى قبل كل ذلك مزيد من الوقت ،، حتى أتمكن من تأدية زيارتى اليومية لمستشفى أريانة للامراض الصدرية . اذ لابد من الحذر ، والحيطة لكل طارىء .. والمسألة فى حاجة الى مزيد من اليقظة كما قال لى الدكتور «ابراهيم» فى زيارتى الاخيرة له . فانا معرض للاختناق بين كل لحظة ولحظة ان لم التزم الحذر ..

والطريق العريض يمتد بلا نهاية . والحر لا يطاق ، والكراسى المتناثرة ينخرها الصديد . والعيون ثاقبة ، متلصصة ، ماكرة ، تنهش ، رغم الغبار والاتربة . والزنود معروقة . وحركة المرور من خلال زجاج مقهى «تونس» وصاحبة الفستان الابيض ، تتوقف تنتظر الضوء الاخضر ، والزحام يولد وجعا فى الرأس يستقر ويتضخم ، وضيقا فى الصدر يخنق الانفاس .. ويلزمنى قبل ذلك مزيد من الوقت ،، بعض الوقت ...

يوسف سلامة

ـ احمـد ممـــو :

قريتنـا والـزمن الـذى يمضـى

تتحدث عنه القرية عملاقا من خلال الحكايات التى تنسجها حوله . ولم نكن نحن الصغار قد رأيناه فعندما تمر سيارته هادرة من أمام الدكان الذى يجلس عنده الكبار نكون نحن قد غصنا وراء أكوام الثياب وفى الاركان المظلمة حيث لا يصلنا صوت محرك سيارته ، وحتى دجاجات القرية التى اعتادت أن تنبش الزبالة على جانب الطريق التى توصل مزرعته بالمدينة تقوق هاربة لانها أدركت أن ذلك المحرك الرعد الذى يثير عاصفة من الغبار لا يمكن أن يبالى بـأى شىء فى طريقه . أما الكبار فهم قد تعلموا الوقوف بمذلة أمام الدكـان الى أن تمر السيارة مزمجرة ويبقون هناك مطاطئى الرؤوس معرضيـن هاماتهم لسحـب الغبار التى تثيرها العجلات الى أن تترسب كلها عند منبت الشعر من رؤوسهم ويموت صوت المحرك فى البعيد . عندها فقط يجرؤون على الحركة . فى القرية اضافت جداتنا الى الحكايات التى ترعبنا حكاية الرجل الذى يكبر لذلـك كنا نختبىء فى الاركان عندما نسمع صوت محرك سيارته .

ذات يوم عندما كان الفضاء الذى يفصل القرية عن الشاطىء مجـرد امتداد تسرح فيه عنيزات القرية القليلة وكانت القريـة تغفو فى ظـل نخيلاتها التى كانت تدافع عنها الرمال بمياه العين الوحيدة الـتى أصبحت لا تتجاوز المزارع الاولى .. جاء الرجل الشبر يحمـل خـريطته بعلاماتها الحمراء المتعددة لكى ينصب خيمته عند الهضبة التى أقام عليها المنزل الكبير بعد ذلك . بقيت القرية تنظر اليه فى كثير من الدهشة وهو يذرع الفضاء الممتد بين القرية والشاطىء بقامته القصيرة وخطواته الضيقة واضعا العلامات الخشبية عـلى طول المسار الذى يقطعه متوقفا من حين لآخر لكى يمسح العرق عـن جبينه . أقعـت كل القرية عند الدكانة التى تطل على السهل تبحلق فى الرجل الشبر وهو يواصل قياساته غير عابىء بحرارة القيلولة .. وامتدت العملية أيامـا وبقيـت القرية تتململ أياما وهى تكتشف أن الرجل الغريب قد بدأ يزيد على الشبر وكان فى

حياة القرية الكثير من الفراغ لكى تملأه بالحديث عن هذا النمو الغريب ... وعندما سئم الجميع الحديث عن ذلك كانت قامة الرجل الغريب قد وصلت شبرا ونصفا وهو مازال يذرع الفضاء الذى يفصل القرية عن الشاطىء ووراءه تتحرك الجرارات ويتردد صدى صوت محركات الحفارات .

عندما وقفت كل القرية تنظر بكثير من الدهشة الى الماء المتدفق من البئر الاولى كان الرجل الشبر والنصف يقف الى جانب حفارته يفرك يديه وعلى ملامحه ابتسامة الرضى . ولكن قامته كانت قد أصبحت فى مستوى منتصف هيكل الحفارة .. وكان مدهشا أن ينمو الرجل بذلك الشكل الغريب لذلك بقيت القرية فاغرة الافواه تبحلق فيه وتبحث عن تفسير للظاهرة ولم ينقذ القرية من دهشتها الا صوت احدى النسوة وهى تؤكد أن مياه عين القرية قد غاضت .. شمرت السواعد واحضرت المساحى ونزل فتيان القرية الى حوض العين يجرفون منه الاتربة. لكن العين بقيت ساكنة ترفض مياهها أن تتدق .

بعد أن حكت القرية رؤوسها طويلا ونبشت الاظافر الأتربة التى ترسبت عند منابت الشعر وتصاعدت زفرات الحيرة زمنا فتحت القرية أعينها على الفضاء الممتد حتى الشاطىء . كانت الحفارات قد تعددت وتداخلت أصوات محركاتها ، وكانت الجرارات قد تركت وراءها صفوفا طويلة من أشجار الزيتون خضراء منتظمة كما لم تشهد عيون القرية ذلك من قبل . من بين كل تلك الصفوف الخضراء التى تمتد حتى نهاية الافق كانت هامات الحفارات شامخة ، ولكن ما كان يبدو أكثر شموخا هى هامة الرجل الغريب الذى كان ينظر حواليه فى كثير من التعالى .. ولم تجد القرية الكثير من الوقت لكى تقف مندهشة مرة أخرى أمام نمو الرجل الشبر ـ الذى لم يعد مجال لتسميته كذلك لان ذلك يبدو مجرد سخف ـ اذ ان مياه العين الراكدة أصبحت لا تكفى حتى المواشى .. عند الدكانة كان الجميع يتململون فى أماكنهم فتزداد الحفر التى تحدثها أجسامهم عمقا واتساعا ولكن ذلك لم يرجع للعين جريانها لذلك بقى الرجال تترسب ذرات الغبار عند جذور هاماتهم وتتصاعد الزفرات من صدورهم ويسرح كل وراء أفكاره . وذات يوم حزمت القرية أدباشها وجمعت عنيزاتها وخطت فى اتجاه الطريق لكى تجد الرجل العملاق واقفا هناك بكثير من الطيبة على ملامحه وبجانبه احدى حفاراته تسد الطريق أمام الجميع . جر الرجل العملاق الحفارة الى موقع العين التى نضبت مياهها ووقفت القرية تنظر بأعينها التى

كان يعشش فيها الذباب .. عندما انفجر الماء وعادت العين الى جريانها تقدمت كل القرية للثم يد الرجل الطيب ثم حطت أدباشها وأطلقت عنيزاتها واخرجت المساحى من جديد لكى ترمم القنوات وتسوق المياه الى كل تلك المزارع البعيدة التى لا يذكر أحد متى شاهدت الماء آخر مرة .. منذ ذلك اليوم تعلمت القرية أن ترنو بكثير من العرفان الى المنزل الكبير الذى يعلو الهضبة كما تعلمت الهامات أن تزداد انحناء عندما تمر السيارة هادرة أمام الدكانة .. وكان يمكن أن تبقى الاشياء طبيعية وان يتوقف نمو الرجل العملاق عند هـذا الحد لو لـم تشرق الشمس ذات يوم وبقيت مشرقة بكثير مـن الحرارة فى أشعتها وحـتى عندما غابت بقيت أشعتها لاهبة فى الفضاء لكى تشرق مـن جديد أكثـر التهابا .. واصبحت الشمس لا تشرق الا لاهبة ولا تغيب الا لاهبـة وامتد ذلـك زمنا . وكانت القرية قد اعتادت مواسم الشمس والرياح اللاهبة من قبل ، ولكن هذا الموسم امتد الى الحد الذى لم تذكر فيه القرية غيره . وبـدأت ذؤابات النخيل تجف قائمة على جذوعها . وبدأت صفوف الزيتون تفقد مـن خضرتها . ولكن الشمس بدت كأنها لم تكن فى يوم ما الا لاهبة حتى بعد غروبها • وبقيت القرية تصعد زفراتها وهى تراقب تلك الآبار الدافقة تنضب وعينها تتحول الى بركة آسنة كما حدث ذات يوم فى ذاكرتها .

استيقظت القرية على صوت محرك أقوى من كل تلك المحركات التى عرفتها منذ عرفت الرجل الغريب وأقعت القرية أمام الدكانة تنظر الى الرجل العملاق وهو ينصب تلك الآلة ذات العجلة الكبيرة التى تصل مستوى صدره. وانهمك الرجل يمد القنوات بين المضخات الـتى ركزها قرب الشاطىء وآلتـه الضخمة غير مبال بكل العرق الذى تسيله عن جسده أشعة الشمس .. عندمـا دارت محركات المضخات وبدأ الماء يتدفق فى القنوات من البحر الى الآلة ذات العجلة الضخمة بحثت القرية عن ابتسامتها ـ تلك التى نسيت كيـف ترسمها عـلى ملامحها ـ لأن الرجل لابد أن يكون قد تعرض لأشعة الشمس طويلا لكى يضخ ماء البحر .. وطغى صوت الآلة الكبيرة على صوت المحركات الاخرى ودارت العجلة الضخمة وبدأ البخار يتسرب من فوهتها .. كان الرجل العملاق يصنع الضباب •• بحلقت القرية بكل عيونها لكى ترى الضباب ينتشر من فـوهة الآلة العملاقة لكى يلف الرجل العملاق وآلته .. وتململت القريـة فى مكانها وهى ترى الضباب يمتد فى اتجاه السهل حيث صفوف الزيتون الكالحة وبقيت مشدوهة الافواه مفتوحة الاعين تنظر الى الضباب وهـو يتكثف فـوق أشجار

الزيتون رغم أشعة الشمس اللاهبة .. ولم تغلق أفواهها المتعجبة الا عندما أدركها الضباب وبدأ يلفها .. بقى صوت المحرك مجلجلا فى الفضاء والضباب يتكاثف فوق صفوف الزيتون لكى يسيل قطرات ندية مع الجذوع ويغيب فى التربة الناشفة ولم يتوقف المحرك عن هديره الا عندما شحبت أشعة الشمس ذات يوم وأطلت السحب الاولى فوق البحر .. لم تكن القرية قد تعلمت أن تضيف الى مواسمها موسم الضباب وبقى الزيتون يزهر فى موعده فتمر الجرارات ترش عليه الغبار الابيض ثم يزهر من جديد فى موسمه .. وتمر سيارة الرجل العملاق الذى اصبحت قامته فارعة فى السماء فتهرب الدجاجات ونختبىء نحن الاطفال ويقف الرجال عند الدكانة يطاطئون رؤوسهم الى أن تترسب عليها طبقات الغبار التى تخلفها العجلات وراءها وكان يمكن أن تتواصل الأشياء طبيعية كما كانت الى هذا الحد لو لم يحدث ان جاء الجراد .

قريتنا والجراد الذى يؤكل :

عندما استيقظت القرية لم تشرق الشمس لأن السحابة كانت تحجب كل السماء وكانت السحابة تزداد كثافة واقترابا من القرية ولكنها لم تكن قادمة من البحر لذلك لا يمكن أن تكون ضبابا . وأظلمت الدنيا قبل الغروب لأن السحابة كانت تزداد كثافة واقترابا من القرية . وعند الغروب حطت السحابة على القرية وعلى صفوف الزيتون وكانت جرادا . وطوال الليل كانت السحابة تزداد كثافة وطوال الأيام الموالية كانت السحابة تجثم على القرية والقرية لا تتوصل الى فتح أعينها لأن السحابة كانت تتكثف وتحجب الشمس وغابت صفوف الزيتون وغاب المنزل الكبير ولم يبق يتحرك الا الجراد . وسدت القرية كل المنافذ ولكن الجراد كان يفتح المنافذ فى كل شىء .. وعندما تسللت أشعة الشمس الى أعين القرية كانت السحابة تجثم على الأرض وتتحرك على الارض وتأكل من الارض وتغطى الارض .. فركت القرية أعينها مرات لكى تنظر الى صفوف الزيتون ولكنها لم تبصر الا الفضاء الممتد حتى البحر تقوم فيه العيدان واقفة بيضاء فى صفوف طويلة متناسقة كما كان الزيتون من قبل . وعندما فركت القرية أعينها مرات أخرى لكى تنظر الى نخيلاتها أبصرت جذوعا رمادية . واقفة كما يقف الرجال عندما تمر السيارة من أمام الدكانة . وعندما بحثت القرية بنظراتها عن المنزل الكبير رأته هناك فوق الهضبة قائما كما اعتاد دائما بشرفاته العديدة ونوافذه المشرعة يغطى الجراد جدرانه وتتلاعب الريح

بأبواب النوافذ أو ما تبقى منها . عندما بحثت القرية عن قامة الرجل العملاق لم تجدها وكذلك السيارة الضخمة والجرارات التى كانت ترش الغبار الأبيض على أشجار الزيتون .. وكانت الدهشة كبيرة ولكـن الجوع كـان أكبر ولم تجد القرية غير الجراد تواجه به جوعها ·· وتعلمت القرية كيف تأكل الجراد وعندما امتلأت البطون بالجراد وتجشأ الجميع بدأ نسج الاساطير وكلما اقتاتت القرية من الجراد تفتحت شهيتها لنسج الاساطيـر .. وعادت الاجسـاد لكى تتململ عند تلك الحفر التى تزداد عمقا واتساعا تتجشأ رائحة الجراد وترنو الى جدران المنزل الكبير دون أن يتجرأ أحد على اغلاق متاريس النوافذ التى كانت تعبث بها الرياح .. وبدأت الاساطير تتحدث عن الجراد الذى أكل الجرارات والآلة العملاقة والسيارة الضخمة وأكـل الرجل العمـلاق أيضا .. وكانـت تلـك الاساطير تسلمنا ـ نحن الصغار ـ للنوم ما دام الرجل العملاق قد أكله الجراد وما دام الجراد يكتف الغازات فى بطوننا .. وانطلقت العنزات من جديد ترعى الأعواد المتخشبة القائمة فى ذلك الفضاء الـذى كان بحيرة زيتـون وامتدت الايدى تفتل الشباك من ليف النخيلات التى لم تخضر ذؤاباتها بعد ذلك اليوم الذى مر فيه الجراد عليها . وأضافت القرية الى مواسمها موسـم الجراد . وكانت تنتظره فى كل سنة تتعهد مواطن بيضه بالرعايـة لكى تضمن قـوت المواسم الأخرى . وأصبح موسم الجراد ثابتا فى قريتنا تدب فيه صغاره عندما يزهر الزيتون فى الاماكن الاخرى ويتكثف سحابة عندما تهب الرياح اللاهبة وينتفخ فى بطوننا بقية فصول السنة .

هكذا كانت أجسامنا نحن الشباب تحول الجراد الى عضلات نتوهمها مفتولة عندما نلقى الشباك على اكتافنا ونقصد الشاطىء حيث قواربنا تغطيها الطحالب وكنا قد كبرنا الى الحد الذى نعرض فيه صدورنا للنسمات البحريـة ونتجشأ الجراد كما يفعل الكبار . ويسعى كل منا الى أن تكون ضربة مجذافه أقوى لكى يذهب أبعد..وكما تعلمنا أن نرمى الشباك بعيدا أو أن نتجشأ بصوت مسموع وأن ندعى أن شبح العملاق لا يسكن المنزل الكبير لذلك نتراهـن للمرور من هناك فى الظلام تعلمنا ايضا أن نضيـف الى أساطيرنا حكايـة الرجل الشبر وأسطورة الجراد الذى يأكل الحديد لكى يؤكل .

قريتنا والضباب الذى ينمـو :

كما اعتادت القرية أن تفتح أعينها دهشة فتحتها هذه المرة لكى تبحلق فى ذلك المنزل الكبير بشرفاتـه المتعددة وقد رصعتهـا أصص الأزهار المتعـددة الألوان . أما نحن الشباب فقد حملنا شباكنا وسرنا فى ذلك المسلك المحاذى لمجرى الماء فى طريقنا الى الشاطىء وكنا طوال الطريق التى تقودنـا الى قواربنا ننظر الى تلك النوافذ الكبيرة وهى تتلقى الستائر وكنا ونحن نركـب قواربنا ننظر الى جدران المنزل الكبير وهى تصبح بيضاء ناصعة . وكنا ونحن نجذف فى تراخ نتساءل عن أولئك الغرباء الذين جاؤوا لكى يطردوا شبـح الرجـل العملاق من المنزل الكبير ومن خيال أهل القرية وكنا ونحن نتجشأ الجراد وماء العين الآسن نتساءل متى يتجشأ البحر لكى يجد الواحد منا الوقـت لكى يفهم دوامة الأحداث التى تحرك القرية . وكان البحر يتجشأ بعد أن تهب تلك الرياح الحارة وتلهب أشعة الشمس الارض والماء وتتحرك النسمات من البحر مسـاءا فيدفع البحر بخاره أمامه ويلف الضباب كـل شىء .. عندهـا نجد مجالا من الوقت لكى نوسع فى فتحات شباكنا لكى لا يثقلها جراد البحر وكان فى حياتنا الكثير من الجراد لكى نلقى بتلك الكائنات مرة أخرى الى البحر .. وكان جراد البحر يأتى دائما بعد أن يتجشأ البحر ضبابه .. كنا نتحدث عن أولئك الذين تتراقص أشباحهم على الاضواء المنبعثة من المنزل الكبير عندما كنا عائدين فى ذلك المساء بشباكنا التى هى فى حاجة الى الرتق .. وكنا مازلنا نلتفت الى تلك الاضواء عندما بلغنا نهاية المسلك حيث يفضى الى الطريق وحيث تعثرنا جميعا لكى تصطدم جبهاتنا بالارض الصلبة .. وكنا فى حاجة الى بعض الوقت لكى نفهم بين دهشة الصدمة وتحسس الدماء النازفة من جبهاتنا ان الطريـق التى توصل المنزل الكبير بالمدينة قد أصبحت عالية وصلبة وسوداء..فى تلك الليلة عرفنا معنى الاسفلت وبقيت تلك الجروح الغائرة فى جباهنا تجدد شعـورنا بالزفـت .

أقعت القرية مرة أخرى تنظر الى ذلك الرجل الشبر الذى جر وراءه الحافلات العديدة لكى ينتهى بها الى المنزل الكبير وتململت الاجساد الغائـرة فى الحفر التى ازدادت اتساعا وعمقا وتكهنت ان هذا الرجل الشبر سيكبر مثلمـا حدث ذلك للرجل الآخر الذى تتحدث عنه ذاكرة القرية .. وبقيت القرية مقعية عند الدكانة تسلط نظرات المراقبة والاستطلاع على الرجل الشبر الذى كان يخطو

فى الفضاء الممتد بين القرية والشاطىء ٠٠ وكلما خطا الرجل الشبر خطوة امتد الاسفلت وراءه وكلما امتد الاسفلت وراءه نمت الجدران على الجانبين بيضاء عالية بشرفات متعددة تزينها أصص الأزهار . وتصل بينها زرابى الخضرة ولكن الرجل الشبر بقى شبرا .. وباتت القرية تتجشأ الجراد وتنسج أسطورة الرجل الثعبان الذى يمتد اسفلتا وكانت الغازات المتولدة عن ماء العين الآسن تتكاثف فى البطون .

عندما أفاقت القرية فى اليوم الموالى وجدتنا نحن بشباكنا على اكتافنا وبجباهنا الموسومة بجروحها الغائرة على المسرب الذى يقود الى قواربنا وقد غابت أنوفنا فى السياج الذى يقف حاجزا بيننا وبين قواربنا..وكان السياج يمتد الى الافق فى الاتجاهين يحمل لافتات تتكرر كل بضع خطوات بكلمات لم يعلمنا اياها المؤدب .. فى ذلك المساء عندما كانت الأجساد تتململ فى حفرها عند الدكانة جاء رجال قالوا : ان صاحب المنزل قد أرسلهم لكى يبلغوا العمدة ، ولم يكن صعبا أن يأتى العمدة لكى يستمع فى انتباه الى الكلام الذى وجهه اليه صاحب النزل . ولم يكن صعبا أن نستمع نحن أيضا بكثير من الانتباه للكلام الذى وجهه صاحب النزل للقرية . ولكن ما كان صعبا حقيقة هو أن نفهم جيدا ما معنى أن صاحب النزل يسأل العمدة أن يمده بقائمة أسماء أصحاب القوارب التى حجزت وراء السياج . وما معنى أن صاحب النزل يسأل العمدة ان يمده بقائمة أفضل بحارة القرية وما معنى ان صاحب النزل يعرض الشغل لجميع الشبان فى القرية .. وانصرف مجموعة الرجال وبقى العمدة فاغرا فاه يفكر ولم يكن الوحيد الذى بقى فمه مفتوحا ٠٠ فى تلك الليلة تكاثفت الغازات أكثر فى بطون سكان القرية وبات كل يحلم بمنزل مثل المنزل الكبير الذى يطل على القرية .. وفى تلك الليلة اكتشفنا نحن الشبان أن أكل الجراد لفترة طويلة يورث مغص الامعاء المتكرر .

من الغد لم نتحسس نحن الشبان تلك الجروح الغائرة فى جباهنا بل تعلقنا بالسياج ندس أنوفنا من خلال فتحاته لكى نفتح اعيننا واسعة على الحوريات العاريات وهن يتحركن على رمال الشاطىء حيث كانت القرية تتعهد بيوض الجراد لكى تفقس بعد الرياح الساخنة وكان اللعاب يسيل من افواهنا وكنا نتجشأ رائحة الجراد وكل منا يدرك ان موسم الجراد لن يعود هذه المرة . وأضفنا الى عاداتنا الاخرى التعلق بالسياج كل يوم الى أن تنصرف تلك

الحوريات العاريات من فوق رمال الشاطىء لكى تأوى الى المنزلالكبير..وأصبح لعابنا يسيل حتى عندما نكون هناك عند الدكانة نتململ فى تلك الحفر التى تزداد عمقـا واتساعا وأعيننا مشدودة الى الاضواء المنبعثة مـن المنزل الكبير وآذاننا تلتقط نغمات الموسيقى التى تحملها النسمات البحرية فى اتجاهنا .. وكان مخجلا أن نحس بالحاجة الى العواء لذلك كنا نتسلى بوضع أسطورة أخرى تضاف الى تلك التى تحفظها ذاكرة القرية .

ويبدو أننا كنا نعوى بشكل ما لكى تتقدم مجموعة الرجال من الجانب الآخر من السياج وتفتح الباب لنا لكى ندخل . وكان مرهقا أن نجذف طـوال انيوم بقوارب مثقلة بأجساد تهوى ركوب القوارب . وعندما قذفنا السياج خارجه فى مساء ذلك اليوم شرع كل منا فى تعديل تصوراته للجنة وحورياتها . وعندما احتضنتنا القرية من جديد اكتشف كل منا كم هو آسن ماء العين وكم هو غث مذاق الجرادات التى تحدث المغص فى بطوننـا . وعندما نتململ فى تلـك الحفرات التى تزداد عمقا واتساعا نكتشف حاجتنا الى الاساطير التى تنسينا طعم الماء الآسن والجراد الغث .. وكانت ذاكرة القرية قد بدأت تضعف بعد أن أثقلت السنوات ذاكرة الشيوخ وألسنتها وبعد ان تفاقمت الآم المغص بالكهول فتكوروا على أنفسهم يدارون امتقاعات وجوههم . وبقينا نحن الشباب بعضلاتنا المنهوكة نتحدث لمجرد التسلية عن الضباب .

وذات يوم كـان الضباب ..

ظهرت السحابة الأولى من أفق البحر عندما كنـا ندس أنوفنـا فى فتحات السياج فى انتظار أن يفتحوا لنا الباب وبدأت السحابة تكبر وتقترب .. عندما شرعنا نجذف بثقل تلك الاجساد الذى يرهق عضلاتنا كانت السحابة قد عمت كل الافق .. عندما أدارت كل القوارب مؤخراتها للضباب وتسارعت ضربات المجاذيف على صفحة الماء كان الضباب يلتهم مؤخرة القوارب .. عندما انفلتت الاجساد العارية من القوارب تجرى فى اتجاه المنزل الكبير كـان الضباب قـد أدرك السياج الذى يفصلنا عن القرية .. عندما تحسست أصابعنا طويلا فتحة الباب فى السياج كانت أسلاك السياج تقطر رطوبة والضباب يزداد كثافة . ولم يكن هناك زيتون ينتظر أن يزهر . وكانت فتحات شباكنا قد اتسعت الى

الحد الذى لا تمسك فيه الا بقايا الاساطير التى لم تضيعها ذاكـره القرية .. وبقى الضباب يجثم فوق بعضه وتكور الكهول طويلا على تلك الآلام الـتى كان المغص يرسمها تكشيرة على وجوههم . وتثاقلت حواجب الشيـوخ تحت ثقـل الضباب مما جعلهم يتساءلون باستمرار لماذا طال الليل عـلى غير عادته . وكنا نحن الشباب فى برانيسنا متكورين فى تلك الحفر التى تزداد عمقـا واتساعا نحس بالضباب يبعث الرطوبة فى مفاصلنا ونرنو من تحت برانيسنا الى أضواء الحافلات وهى تتعثر فى بحثها عن طريقها الذى يقودها بعيدا عن المنزل الكبير كنا قد تحسسنا طريقنا الى السياج ووقفنا طويلا أمـام البـاب لكى يكتشف أحدهم وجودنا بعد دهر ويقول لنا ان السائحات قد سافرن لذلك لا حاجة لنا بالوقوف هناك . وكان الضباب ينمو ويزداد غوصا فى تلك الحفر التى تزداد عمقا واتساعا وعندما لا يثقل الضباب انفاسنا كثيرا نتحدث عن أيام الشمس وأيام الرياح الصحراوية اللافحة ونتحدث عن المواسم الاخرى ، ولكن الضباب كان ينمو من البحر ويزداد كثافة وتزداد أنفاسنا تلاحقا فنـرخى طرابيش البرانيس على أنوفنا وتغوص أعمق فى تلك الحفر التى كنا نتململ فيها ..

وطال موسم الضباب كما لم يحدث ذلك من قبل وطال أكثر حتى مـن المرة التى جلب فيها العملاق آلته الضخمة لكى يصنع الضباب من أجل زياتينه التى كان يريدها أن تزهر .. وكان الضباب ينمو من البحر لكى يثقل القرية وكانت برانيسنا تثقل فوق أكتافنا .. وقد نكون نتحدث عن الضباب لمجرد التسلية ولكن حواجبنا كانت تثقل تحت الضباب . وقد نكون نبحث فى ذاكرة القرية عن الأساطير التى تتحدث عن الرجل الشبر وعن الرجل العملاق وعن الرجل الاسفلت ولكن ذلك المغص الذى كان يتفاقم فى أعماق كل منا كان يدفع كلا منا الى ان يتكور على نفسه ويرسم على ملامحه تكشيرة يخفيها الضبـاب .. واضافت القرية الى مواسمها موسم الضباب . وامتد الضباب تاريخا ..

احمـد ممـــو

محمد بـن رجب

قـراءة فى العـدد المـاضى

احتوى العدد الماضى 68 من مجلة قصص على سبع قصص وثـامنة مترجمة وثلاث دراسات أدبية ، ودراسة رابعة مترجمة .

ولا أدرى هل أن الصدفة هى التى أرادت أن تكون الدراسات تعالج موضوعا واحدا وهو الرواية ، أم أن رئيس التحرير هو الذى اختار المواضيع متجانسة: نظرية لوكاتش فى الرواية لمحمد الباردى ، والمعلوماتية فى خـدمة الـرواية تعريب أحمد ممو ، والاسلوب فى رواية « دائرة الاختناق » لبوراوى عجينة .

أما القصص فى هذا العدد فانها بعكس الدراسات لم تلعب فيها الصدفة لا من قريب ولا من بعيد ، فلم نقرأ قصة قريبة من أخرى من جهة الموضوع ، ولا يمكن أن نستخرج من سبع قصص عناصر مشتركة الا فى الاسلوب وشكل الكتابة . فلا يمكن مثلا أن نقف على الوضع الاجتماعى من خلال هذه القصص فى حين يتسنى لنا أن نبحث فى خصائص القصة التونسية انطلاقا من مجلة قصص فى عددها الاخير .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● القصـة الاولى :

بعنـوان « الـزيـارة » للقصـاص سـاسـى حـمـام ، استقـاهـا مـن الاحداث التى عاشتها قرية ما فى تونس وخزنتها فى ذاكرتها الشعبية لترددها فىغضب. أمير يقرر زيارة القرية للاطلاع على أحوالها، فيستعد لها المسؤولون فيها استعدادا كبيرا ويصرفون الاموال الطائلة من أجل الزينة والبهرج فى حين أن القرية ومواطنيها فىحاجة الى الاموال التى ذهبت هدرا،ويعرف المواطن فى القرية أنه سيكون مجبرا على تحمل تلك المصاريف فيثقل كاهله الدامى من الاستغلال والديون الفاحشة . ثم يأتى الامير ويجد أن القرية «باردة شعبيا» فلا تصفيق ولا هتافات الا من بعض المتزلفين أصحاب المصالح فتثور ثائرته ويعاقب أهل القرية عقابا ما زالت القرية تتألم منه ..

هذه القصة سردية ، وصفية ، والكاتب يقوم بدور الراوى بنفسه ولكنه اقتصر على الاستعراض فقط فلم يلتجىء الى تقنيات الراوى القديمة ، كما لم يستعمل بعض المؤثرات الفنية فى كتابة هذا النوع من القصص الذى يحمل عادة طعما خاصا ونكهة متميزة فى السرد ، أى أن هـذه القصـة مـا زالـت تتكرر فى الكثير من قرىومدن بلادنـا بـلاد العرب وبلاد العـالم الثـالث بصفة عامة ، زيارات يستعد لها المتزلفون وأصحاب المصالح وينفقون عليها أموالا تذهب هدرا وكان الاولى أن تصرف فى مصلحة عامة ، الناس فى أمس الحاجة اليها ٠

والسؤال الذى تطرحه القصة هو : اذا كان المسؤول يرغب فعلا فى الاطلاع على أحوال المواطنين ـ الرعية ـ فلماذا لا تكون زيارته فجئية وعادية ٠٠٠ ولماذا يجد أمامه القرية مزركشة تحمل الكثير من الماكياج ؟! فهل يحـاول أن يرى ما تحت الزينة والماكياج ٠

أخيرا أقول : هذه القصة «تضم» خطأين فلا نقول «فـرق الشـاى عـلى الحاضرين» (تفريق الشاى ص٠ 6 سطر ١) بل نقول وزع ٠٠ ولا نقول حشية الملك ٠٠٠ بل حاشيته ٠٠ (ص 6 ٠ سطر 8) ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● **القصة الثانية :**

القوادم والخوافى ـ للقصاص التابعى الاخضر ٠ لقد استـوقفتنى هـذه القصة طويلا لاسلوبها المتميز ، وجملها البرقية ودقة وصفها للمشاهد وقلة الاحداث فيها وتزايد الحس الشعرى مع تصاعد الحـدث الـدرامى داخـل الوصف القصصى ٠٠

لقد اكتسب التابعى الاخضر خبرة عالية فى كتابة القصة بل انه أصبـح قادرا على الابداع فيها خصوصا على مستوى الشكل واللغة ٠٠

موضوع القصة طريف .. ولكنه لا يهم كثيرا بالقياس الى الشكل اللغـوى الذى استعمله القصاص : شاب فقير نازح يعيش فى المدينة ، يريد أن يجد فيها مكانه تحت الشمس ، ولكن «المدينة» نائمة دائما ، لا تستفيق لامثاله ،

ويريد أن يتبين طريقه لكن المدينة غارقة فى الظلام ولا تقدم غير السكارى ..
وجسد الشاب لا يصطدم الا بأجساد منهوكة لفظتها المدينة .

● القصة الثالثة :

الاصرار لحسن نصر ، هل نقف طويلا أمام قصة كتبها فنان يعرف كيف ينحت الجملة القصصية ، ولا يتلاعب باللغة لمجرد أن التلاعب أصبح تجديدا.. ان حسن نصر مجدد فى الكلاسيكية ، لا يضع الكلمة الا فى مكانها . ولا تجد لفظة زائدة اضطرته اليها «القافية» ، انه يعنى ما يقول .. فى هذه القصة يتحدث عن حدث مأساوى لم يعشه الا باحساسه ، صورة من مجزرة صبرا تشده طويلا ، وتهزه من الداخل وينفض القصاص غضبا . وكانت هذه القصة: فتاة تحمل كيسا .. هو السر الكبير ، تخرج من خراب المخيم الفلسطينى، لا تبعا بالاجساد الممزقة ، المتعفنة .. انها تتقدم .. فى ألم .. ولكن فى ثبات .. وتحلم بالزواج .. وبالاطفال .. الاطفال هنا هم الذين سيواصلون النضال .. وما حدث فى صبرا لا ينهى الفلسطينى ولا يلغى وجوده .. انه يعتبر ذلك ضريبة لا بد من دفعها على طريق النصر .

القصة حبلى بالامل ..

لكن ماذا فى الكيس ؟

تبدأ القصة بهذا السؤال .. وتنتهى به !

هل تحمل الفتاة قنبلة لتفجيرها .. أم تحمل المستقبل الذى لا يعرفه أحد .. وسيأتى مع الاطفال ؟.

لا أقدر على الاجابة .

لكن المؤكد ان القصة شهادة ادانة .. صرخة من الخراب تطلقها أم فلسطينية .. وصرحة تنبجس من صدر طفل مزقه الصهاينة واذيالها فى بعض بلادنا العربية ..

فى القصة روح سردية .. لكن القصاص حسن نصر ليس سهلا فى السرد .. انه يطعمه بتقنيات حديثة ..

هنا الكثير من التقطيع السينمائى .. وتركيز كبير على المشاهد الطويلة.. وانتقال سريع من مشهد الى آخر ..

هنا الكاميرا تدور ..

والفيلم جاهز عنوانه «الاصـرار» .. والسيناريو مكتمـل .. والحـوار واضح .. برقى ومؤثر ..

اذن .. كلمة أقولها للمخرجين .. تعالوا .. وتعاقدوا مع حسن نصر.. انه جاهز أيضا ..

● **القصة الرابعة :**

عنوانها «وجه فى زحام المدينة» لمحمد عبد الرحمان يونس ، لم أقـرأ له كلمة واحدة فى السابق ، ولا أدرى ان كان تونسيا أو شقيقا مـن المغـرب العربى .

هذه القصة رمزية . لا يمكن تلخيصها .. انها تبحث عن قارىء .. عن متأمل .. عن باحث فى لذة القصة ذات الابعاد الخمسة بدون أن تغرق فى الغموض ، أو الفلسفة الواهمة .

فى هذه القصة قال الكاتب كل شىء عن مجتمعه وفضح الطبقية والمتناقضات الاجتماعية .. وركز على المفارقات دون أن يسقط فى المباشرة .

فى «المدينة» عالمان متناقضان .. يتصارعان فى صمت .. ويلتقيان فى المقهى الضاج يوميا .

والمطر فى هذه القصة يغسل المدينة ..

انه يغسل أدرانها .. فى انتظار الفيضان ..

وتنتهى القصة بهذه الجملة الحالمة الجميلة :

«عاد المطر الى السقوط ثانية ، تكورت المدينة على نفسها ، تشكل ضباب قاتم ، سد منافذ المدينة ، وسرعان ما اغلقت المدينة بواباتها امام كل القادمين الجدد ، تحلق الكل حول أسوار المدينة فى انتظار موسم جديد» .

جميل جدا أن تقرأ لكاتب لاول مرة فيجعلك تنتظر انتاجه .. أو تبحث عنه هنا .. وهناك ..

● **القصة الخامسة :**

يقدمها لنا سجل «حكايات السيد س» تحت عنوان «الدب الصغير» كتبها كما هو معروف لدى متتبعى القصة التونسية ، سمير العيادى ، يقتطف سمير هنا مشهدا لا يتكرر .. انه متوقف وان يتغير فبصعوبة ..

امرأة **فريدة** فى شقة ، تعيش مع دب صغير .. فى مدينة تراكمت عليها الثلوج .. ونزل عليها البرد .. ثم تنسحب المرأة تاركة سرا غير مفضوح ودبها الصغير .. ولا تنتهى الشرطة الى شىء فى تحقيقها عن غياب المرأة ..

ـ فى القصة علاقات باردة .. الراوى والمرأة .. علاقاتهما ببعضهما ليست عادية .. انها كالثلج ..

ـ المرأة تحب الثلج فى «شخص» الدب الابيض .. والدب معروف بأنه حيوان ثلجى ان لم نقل قطبى .

ـ الشرطة تبحث فى قضية المرأة فى برود كامل ..

ماذا يريد سمير أن يقول ؟ .

ان حياتنا اصبحت باردة جدا .. تنقصها العلاقات البشرية الخالية من المصالح والعقد والمؤامرات ..

نحن فى حاجة الى الحب .. فى حاجة الى علاقات انسانية حقيقية ، ساخنة ..

وقد عبر عن أمله فى تغيير هذه الثلجية وعودة الالوان الزاهية الى«الشوارع التى فقدت الوانها» اى حيويتها وبشريتها ..

قال سمير العيادى فى نهاية حكايته ..

ـ خرج الشرطى دون ان يحاول استفسار السيد س عن معنى هذيانه الذى تواصل حتى **الربيع** ٠

وهنا المفتاح ٠

وأقول للكاتب : هذه المرة لم تخرج من البرنس الذى خاطته لك جدتك مرة من العنبر ٠٠٠ فلم «نعثر» فى هذه الحكاية على لغة متميزة ٠٠ بل جمل متلاحقة وكأن الكاتب مطالب بأن يتخلص من واجب يوم الامتحان ٠٠

نقول ذلك ونحن نحب هذا «الدب الصغير» ٠

● **القصة السادسة :**

اولمبيا العتيقة ٠ قصة سوفياتية تدور أحداثها الرئيسية **فى موسكو** ، كتبها بوريس ماسيلياف وعربها مصطفى الفارسى ٠ شغلت **فى المجلة 28** صفحة كاملة وهى قصة سردية ، كثيرة الاحداث فيها العودة **الى الخلف** كثيرا ٠٠ وبعض لقطات من حوارات ساخنة ٠

القصة تصل الى حد الملل ٠٠ ليس فيها طرافة من ناحية **الموضوع وان** كانت أحداثها التاريخية ساخنة وتشد الناس ٠ ولا أدرى الى **ماذا كان يريد** الكاتب ان يصل ٠٠ هل يريد عرض قصة هذه العجوز «كاتيا» **التى أمضت** حياتها راقنة وكانت مناضلة فى الحرب العالمية الثانية ؟ **القريب الى الظن هو** ان الكاتب يريد ان يقول ان ابطال الحروب لا يعرفهم احد فى بعض الاحيان بل فى اكثر الاحيان ٠٠ ولا بد من التركيز على أولئك الذين ابلوا البلاء الحسن ٠٠ ولم يخرجوا من الحرب الا «بنيشان» قد لا يعنى شيئا ٠٠

كاتيا ممزقة بين تاريخ لا تريد ان تسترجعه وحاضر لا يريد ان يبتسم لها ٠٠ وهى دائمة الرقن على آلتها ٠٠

ورغم أنى لا أعرف النص الذى ترجم منه الاستاذ مصطفى الفارسى ٠٠ كما أنى لا أعرف اللغة التى نقل منها المعرب ٠٠ فانى أتصور أن التعريب كان يمكن ان يكون افضل ٠٠ لقد توقفت طويلا امام فقرات اشعر انها فى حاجة الى كتابة اخرى وصياغة امثل و لااعتقد ان الاستاذ مصطفى الفارسى غير قادر

على الصياغة الامثل ·· فهو كاتب مبدع ·· وأثبت ذلـك دائمـا ·· فهـل استعصى عليه النص فى بعض فقراته خصوصا فى الحوار ...

الـدراســات

● الدراسة الاولى فى المجلة مترجمة ، كتبتها فرنسواز هاروامـونين ، وعربها أحمد ممو .. موضوعها « **المعلوماتية فى خدمة الرواية** » .

دراسة طريفة جدا ·· موضوعها جديد ·· وتطرح قضية تدخل الآلـة الاليكترونية فى هذا العصر فى الادب ··

فكيف ستكون الرواية غدا ؟.

من المؤكد أن القصاص لن يكتب رواية اخرى قد تتفوق على روايات الدماغ الاليكترونى القادر على خزن آلاف الروايات ·· ثم هو قادر على أن يخرج لك رواية على الطريقة التى يريدها وبالشكل الذى يرغب فيه المهندس المصمم للبرامج المخزونة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما قلته الآن ليس تلخيصا للدراسة ·· انما هى خواطر فوقية ·· قد تجلب القارىء الى الاسراع الى مجلة «قصص» وقراءة هذه الدراسة التى اكرر بأنها طريفة وموضوعها ليس تقليديا ·· والمطلع عليها لا يصاب بالملل ··

● الدراسة الثانية : **نظرية لوكاتش فى الرواة واشكالية الرواية العربية للاستاذ القصاص محمد الباردى ··**

ان الكاتب يستعرض علينا فى دراسته آراء لوكاتش فى الرواية ، وتعريفه لها وتصويره لها بأنها أصلا ملحمة بورجوازية وتمر من مراحل كثيرة ·· وتصل الرواية الى مرحلة «ايجابية» وهى الواقعية الاشتراكية وهى المرحلة الارقى فى الكتابة الروائية ··· وهى الشكل النهائى لتطور هذا النوع الادبى

وهذا طبعا رأى يناقش اذ ليس من حق اى كان ان يزج بالرواية فى سجن ولو كان واقعيا اشتراكيا ·· وليس من حق لوكاتش أن يمـلى علينا نحـن

العرب شروطه الاشتراكية رغم ايماننا بأن الاشتراكية هى أكثر الايديولوجيات اقترابا من العدالة والمساواة بين البشر .. ولكن ايـة واقعيـة اشتـراكية نريدها لروايتنا ..

هدى الله الباحثين العرب .. وبعض روائيينا الذين «انضربوا» بجـورج لوكاتش .. ولم يخرجوا بعد من الدهشة التى أحدثتها كتبه فيهم .

فهل أراد محمد الباردى أن يقول ذلك عندما قال فى وضوح :

«ان فقر علم الاجتماع العربى يعنى احراج الناقد الادبى ، لانه لا يجد نظرية اجتماعية متكاملة ولا جدال فيها ، فمفهوم البرجوازية فى المجتمـع الاروبى لا يحتاج الى نقاش ، فى حين ان مفاهيم من نوع «برجوازية ونمط رأسمالى ، ونمط اشتراكى ..» لا تجد الحجة العلمية الدقيقة لاثباتها ، فتظل بالنسبة للباحث من باب الانتماءات العقائدية لا غير وعندئذ تظل النتائج التى يصل اليها الناقد الادبى من باب الاجتهادات فى التأويل لا غير ...» .

الى حد ما كان محمد الباردى مقنعا ، لكن الا يدرى هو أنـه تعـامل مع لوكاتش بنوع من الانبهار رغم بعض اللمحات النقدية التى وجهها له .

فجورج لوكاتش عند الباردى يحمل «تصورا» علميا للبنية الاجتماعية التى ينطلق منها .. أما العـرب فانهـم لا يحملـون هـذا التصـور العلمى فهـل ان لوكاتش أكثر من باحث !

أى وهم هذا ؟

وهل الاشتراكية علم كالفيزياء لا يشق له غبار !.

انها نظرية بشرية ارقى من النظريات الاخرى ،،، ولكنها لا تمنعنا من أن نقول بأنها ليست علما ،،، فالرياضيات والفيزياء والكيميـاء نفسها ليست علما ما دامت قابلة للتطور .. فالعلم هو الثابت كأن تقـول 2 ايجـابى مع 2 ايجابى يساوى 4 .. فـلا مجال لمناقشة هذه النتيجـة .. فى حين يمكـن مناقشة الفيزياء .

وينتهى محمد الباردى بالاقرار بأنه «يجب البحث عن نظرية روائية عربية» وفى آن واحد يشك فى أننا نقدم على وضع هذه النظرية ! لماذا ؟

يقول : «لا نستطيع الى حد الآن تقديم نظرية روائية عربية علمية ما لم نفهم فهما صحيحا طبيعة مجتمعنا وطبيعة نموه» .

أنا أقول أيضا بوجوب استنباط نظرية روائية عربية لاننا نحتاج اليها فعلا فرواياتنا العربية أصبحت متميزة ولكنها لم تدخل مخبر التحاليل والدراسات المتأنية العميقة ..

أما القول بعدم وجود دراسات اجتماعية «علمية» فاهمة لطبيعة المجتمعات العربية فهذا ظلم كبير ، فالدراسات موجودة وأنا لا أدعى أنها علمية !!

فماذا تريد يا أستاذ الباردى ؟

نظرية علمية للمجتمع العربى !

وهل أن النظريات علمية خارج دوائر الفيزياء والكيمياء .. والصيدلة والطب ... وما شابه ..!؟

وهل ان النظريات علمية فى مكان .. وغير علمية فى مكان آخر .

أنا أسأل فقط ...

ولكنى أقول : ان الدراسات التى قدمها العروى وسمير أمين ، والعابد الجابرى ، والطيب التيرينى وهشام جعيط ، والياس مرقص .. وغيرهم تفى بالحاجة المرجوة .. ولكننا مع الاسف لا نقرأ ولا نبنى فى بلاده الا بعد حين . قد يكون طويلا .. أو قصيرا ..

محمد بن رجب

محمد الخموسى الحناشى

ويعـــود الحـــب ..

بينما كان الرسام المعروف شوقى سعيد وبعض تلاميـذه يستعدون لرفع اللوحات المعلقة على جدران قاعة العرض للعودة بها الى المرسم بعد انتهاء عرضها الذى تواصل أسبوعا اذ بفتاة جميلة أنيقة تقتحم القاعة فى اندفاع كأنها تلوذ بالقوم من شخص يطاردها . وقف الجميع ينظرون اليها فى دهشة وتساؤل . ثم تقدم منها حارس القاعة وخاطبها بلطف قائلا :

ـ تفضلى يا آنسة ما حاجتك ؟

قالت بعد أن التقطت أنفاسها ، وقد اتجهت بنظراتها الى شوقى :

ـ أريد التحدث الى الاستاذ شوقى اذا سمحت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جاء شوقى من آخر القاعة تسبقه كلمات الترحيب :

ـ أهلا وسهلا . أنا تحت أمرك .

تقدم منها .. صافحها بحرارة وقف يتطلع اليها فى صمت .

قالت الفتاة :

ـ أعرفك بنفسى أولا : عائدة سالم خريجة كلية الآداب قسـم الصحافـة أعمل محررة تحت التدريب بجريدة الشعـب . مشرفة عـلى صفحة الفنـون التشكيلية بها . كنت فى مهمة صحفية بالخارج حيث انتدبت لتمثيل الجريدة فى الملتقى الدولى الاول للمسؤولين عن الصحافة الفنية الذى عقد بسدنى منذ أيام . طوال غيبتى كنت أشعر باسف بالغ لعدم تمكنى من مشاهـدة معرضك الاخير ، انه معرضك السابع على ما أذكر .

ـ نعـــم .

ـ رغم مشاغلى الكثيرة فقد حرصت على الحضور مؤملة أن أحظى بمشاهدة ما أبدعته ريشتك الساحرة ، وأرجو ألا أكون قد أتيت متأخرة .

ويرتفع صوت أحد الشبان من طرف القاعة مخاطبا أستاذه :

ـ هل نشرع فى جمع اللوحات يا أستاذ ؟ . .

يجيب شوقى قائلا :

ـ انتظروا قليلا .

همست عائدة فى تحسر :

ـ يبدو أننى جئت متأخرة فعـلا .

رد شوقى بسرعة :

ـ لا أبدا . . تفضلى ، ها هى اللوحات أمامك انظرى فيها كما يحلـو لك . ولا تشغلى نفسك بعامل الوقت .

تطلعت اليه فى امتنان ، وعلى ثغرها الوردى ترفرف ابتسامة حلوة ، وقالت بصوتها المخملى الناعم :

ـ شكـرا لك .

وشرعت فى جولتها وسط تلك الحديقة الزاخرة بشتى الـوان السحـر والجمال ، دعا شوقى أحد الشبان وطلب منه ان يسلم الآنسة نسخة من الكتيب التوضيحى المخصص للوحات المعروضة ، كما أمر الحارس باغلاق بـاب القاعة وعدم السماح لاى كان بالدخول . ثم لحق بالصحفية الشابة ومضى يشرح لها قصة كل لوحة والظروف التى صاحبت عملية رسمها مجتهدا فى أن يبسط لها الفكرة العامة التى أراد التعبير عنها من خلال بعض لوحاته التى نحا فيها منحى رمزيـا .

فى نهاية طوافهما بأرجاء المعرض رجته أن يحدد لها موعدا للاجتماع به لاجراء حديث صحفى معه يتناول حياته ومسيرته الفنية فأبدى استعداده لاستقبالهـا ببيته فى أى وقت تختاره . واتفقا على الموعد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شكرته مرة أخرى وودعته على أمل اللقاء به فى الاجـل المضروب . وانصرفت خفيفة رشيقة كمـا جاءت يغمرها الرضى والارتيـاح . هـل تمضى الى مقر الجريدة ؟ ..

لقد أصبح الوقت ليلا ، وهى ما تزال تشعر ببعض التعب من أثر الرحلة من الافضل أن تعود الى البيت وتنام مبكرا .

امتطت الحافلة ولحسن حظها كانت شبه خالية من الركاب . اختارت كرسيا وجلست وقد ثبتت نظرها على قفا السائق البدين . وشرد بها الفكر الى شوقى ولوحاته الجميلة الرائعة .. لقد قرأت عن هذا الفنان كثيرا . لكنها لم تكـن تتصور أنه على تلك الدرجة من الادب والتواضع وسعة الثقافة . لقد خيل اليها وهى تتحدث اليه ، ان معرفتها به تمتد الى زمن بعيد رغم أنها تقابله لأول مرة وكان شعورها ، وهى تبادله الكلام ، أنها تتحدث الى انسان غير غريب عنها . كان طبيعيا بسيطا وعفويا متواضعا لا يدعى ما ليس له به علم ، صريحا الى أبعد حدود الصراحة . لم يجاملها ولم يحاول تملقها بوصفها صحفية كما اعتاد غيره أن يفعلوا معها دائما . لقد شعرت أنه كان يعاملها كانسانة مثقفة ، كفنانة كما كان يقول . هل هو الحب يغزو قلبها البكر ؟ .. أيمكن أن يولد الحـب هكذا بسرعة ومن أول لقاء ؟ .. سؤال محير لعل الايام تجيب عنه .

وعلى طيفه وأصداء كلماته الحلوة التى كانت تهدهد سمعها نامـت سعيدة قريرة العين .

وأهل اليوم الموعود ، وحلت اللحظة المرتقبة وذهبت اليه ، فاستقبلها بكل حفاوة وترحاب وبغرفة المكتب انتهى بهما المجلس ، غرفة صغيرة نظيفة مرتبة يتوسطها مكتب أنيق خلفه استقرت خزانة خشبية كبيرة مستطيلة الشكل بها عدة رفوف ، واجهتها من زجاج ، تزين أبوابها وعوارضها نقـوش جميلـة بها اصطفت مئات من الكتب والمجلدات .. عـلى الحيطان استقرت بعض اللوحات الصغيرة لفنانين عالمين .. فى زوايا الحجرة انتصبـت مجموعة مـن الاصص المزخرفة زرعت بها شجيرات صغيرة من تلك التى تربى داخل البيوت .

جلست تترشف كأس العصير الذى قدمه لها فى أناة وتمهل .

قال شوقى كالمعتذر :

ـ انه مكتب متواضع كما ترين .

ابتسمت ابتسامة رقيقة وقالت :

ـ كنت أتوقع أن أجد مكتبا تعمه الفوضى ويسوده الاضطراب ، يغطى الغبار فيه كل شىء وتنتشر بيوت العناكب على جدرانه .

ضحك شوقى حتى دمعت عينه ثم قال :

ـ الظاهر أنك أصبت بخيبة أمل ويؤسفنى ألا تعثرى فى شخصى على الفنان الذى كنت تبحثين عنه .

ابتسمت . وقالت :

ـ لا تدع الظن يذهب بك بعيدا يا أستاذ شوقى ، الامر على عكس ذلك تماما لقد تعودنا أن نعرف الفنان على أنه انسان فوضوى بوهيمى لا يرضخ فى حياته لنظام ثابت . لا يهتم بالناس ولا بأسلوب عيشهم ويحرص على أن يكون مختلفا عنهم فى كل شىء ، رافضا للمحيط والواقع الاجتماعى الذى يعيش فيه .

ـ انها صورة خاطئة ومشوهة عن الفنان يا آنسة .. الفنان انسان اجتماعى أولا وقبل كل شىء قدره أن يحتضن العالم فى قلبه ، وان يعيش حياة كل البشر الذين يشاركونه الوجود على هذه الارض يتحسس آلامهم وآمالهم ويجتهد فى التعبير عنها بريشته ، وهو لا يمتاز عن غيره بشىء الا برهافة حسه ويقظة فكره وفورة وجدانه . أما أولئك الذين يحاولون ايها منا وايهام انفسهم قبلنا بأنهم جبلوا من طينة غير طينة البشر ، ويرفضون الاعتراف بمجتمعهم ولا يحترمون نواميسه فليسوا فى الحقيقة من الفن بشىء وما هم غير رهط يعانون من حالة اكتئاب نفسى جعلتم يحيون فى وضع متأرجح انعدم فيه التوازن بينهم وبين مجتمعهم وبين هذا الوجود الكبير فى النهاية .

ـ يخيل الى أننى كلما استمعت اليك أكثر كلما ازددت فهما لك وقربا منك لقد كنت دائما أحمل عنك صورة حسنة ، ولكن بعد تعرفى عليك عن كثب ازدادت صورتك وضوحا لدى . أنت انسان عظيم وفنان شاعر ، يا أستاذ شوقى .

منذ لقائنا الاول كنت أقول عنك فى نفسى : إنك فتـاة ذكيـة ولم يخطىء حدسى . واشكرك على مجاملتك الرقيقة على كل حال .

ـ صدقنى اننى لم أقل غير الحقيقة .

ـ اشكرك مرة أخرى . والآن ما رأيك هل نواصل جلستنا أم تفضلين زيارة المرسم أولا ، ثم نكمل حديثنا بعد ذلك .

ـ أظن من المستحسن أن أرى المرسم أولا .

ـ هيا بنا اذن .

وقفت تتفحص المرسم وتدقق النظر فى محتوياته . قاعة فسيحـة يغمرها النور من نوافذ كبيرة عديدة يظل بعضها على قسم من حديقة المنـزل . بعض اللوحات والادوات هنا وهناك . لم تكن توجد لوحات كثيرة . لقد بيعت معظم اللوحات التى تم عرضها مؤخرا . وجاء أصحابها فى اليوم الموالى لانتهاء المعرض وحملوها .

شاهدت اللوحات القليلة الموجودة وخاصة تلك التى لم ترهـا بالمعرض . وتوقفت طويلا أمام لوحة كبيرة لم تكتمل بعد تمثل فتاة جميلـة ترتدى غلالة شفافة بيضاء ، يزين رأسها اكليل من الزهور البرية تبدو كانها تمشى فوق الماء تحت سماء ملبدة بالعواصف والغيوم . وخيل اليها أنها ترى نفسها فى شخص تلك الفتاة . ترى هل شوقى يعنيها بهذه اللوحة ؟ .. غير معقول . انه مجرد تشابه لا غير .

وتلتقى العيون فى تساؤل صامت وتضطرب النظرات . وعـاد الى حجـرة المكتب لاستكمال ما انقطع بينهما من حديث بعد أن اخذت له صورة داخل المرسم وهو واقف الى جانب لوحته الجديدة .

وكانت لهما لقاءات بعد ذلك ، وبمرور الايام توقفت الصلة بينهما . وذات عشية من عشايا الربيع وفى جلسة شاعرية هادئة باحدى الحـدائق العـامة بالمدينة أفضى اليها بما يكنه لها من مشاعر الحب والمودة ويتعانق القلبان كأجمل ما يكون العناق . لقد مال أحدهما الى الآخر منذ أول لقاء جمع بينهما لكن كلاهما

كان يكابر ويجتهد فى اخفاء ما يضمره لرفيقه من عواطف متدفقة وحب عظيم رغم ما كان يلقاه من جراء ذلك التكتم من عناء وألم . لم يكونا على يقين من صدق عواطفهما فهما لم يجربا الحب من قبل ولا يعرفان عنه شيئا سوى ما قرآه وشاهداه عنه من قصص وروايات . وسارت بهما الايام جميلة حلوة ، كانا يفكران حبا ويتكلمان حبا ، ويتنفسان حبا . كانت حياتهما كلها حبا فى حب . وقررا الزواج ، وذات ليلة كأنها الحلم الجميل جمع بينهما عش الزوجية وعاشا يكرعان من فيض الحب ألوانا وبلا حساب . لم يله الحب ولا الزواج شوقى عن متابعة نشاطه الفنى بل على العكس تماما لم يزده ذلك الا اقبالا على العمل بصورة لم يعهدها فى نفسه من قبل.ومع كل يوم يمر كان نجمه يزداد سطوعا فى سماء الفن ، انه حديث عهد بالرسم . ومع ذلك أخذ طريقه الى الشهرة والمجد بسرعة مذهلة لما امتاز به أسلوبه من عمق وجمال وشفافية وصدق . ويشتد اقبال الناس على اقتناء لوحاته ومشاهدة معارضه . ويعين استاذا للرسم بمعهد الفنون الجميلة ، وينتخب رئيسا لنقابة الرسامين المجددين ، كما عين عضوا شرفيا بالنادى الدولى للفنانين التشكيليين . وبرغم النجاح الذى أحرزه والشهرة التى حققها ظل كما هو لم يتغير فيه شىء ظل ذلك الفنان الرقيق الهادى والزوج المثالى المحب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذات مساء بينما كان مستغرقا فى العمل بمرسمه وزوجته جالسة غير بعيد عنه تؤنسه اذا به يتهالك على مقعد قريب وقد اصفر لونه وارتخت أطرافه وضاق تنفسه . شعرت عائدة بما حل به فاسرعت بحمله الى غرفة النوم . طلبت طبيب الاسرة واستعجلته فى الحضور بعد أن شرحت له الحالة فى كلمات . وجاء الطبيب وبعد أن قام بفحصه وحقنه فى الوريد أخذ فى الضغط على صدره بكلتا يديه بصورة متقطعة . وبعد حين استفاق وانتظم نبضه وبدأ يتنفس بعمق . اثر ذلك استدعى الطبيب سيارة اسعاف لتنقله الى عيادة الدكتور ناجى الاختصاصى فى أمراض القلب بعد أن أخبر عائدة بأن زوجها يعانى من أزمة قلبية حادة وحالته تتطلب وضعه بين أيدى طبيب مختص مثل الدكتور ناجى المعروف بخبرته الواسعة .

بغرفة الانعاش التف حوله جمع من الاطباء يتقدمهم الدكتور ناجى وشرعوا يعملون كل ما فى وسعهم لانقاذه وكان قد فقد وعيه من جديد . وبعد حين

استفاق من غيبوبته واستعاد وعيه كاملاو طلب رؤية عائدة فجيء بهـا اليه . كانت جزعة مضطربة موزعة النفس فى عينيها دموع تترقرق ، ما ان سمعت صوته الواهن يردد اسمها حتى انفجرت باكية . لم تكن تعرف شيئا عن مرضه قبل ذلك هو نفسه لم يكتشف ان قلبه مريض الا فى وقت متأخر نسبيا وذلك قبل زواجهما بزمن يسير حين داهمته الازمة لاول مرة . وقد حاول أكثر من مرة اخبارها بالحقيقة لكنه كلما هم بذلك كان يجد نفسه يلوذ بالصمت فى نهاية الامر مرجئا مفاتحتها فى الموضوع الى وقت آخر .

بمرور الايام تحسنت صحته وعاد الى البيت لقضاء فترة مـن الراحة مـع مداومة العلاج . لقد تأكد الاطباء بعد الفحوص العديدة التى أجروها عليـه أن حالته ميؤوس منها وحياته مهددة بالخطر فى كل لحظة بمجرد تعرضـه لأزمة جديدة وان لا سبيل لانقاذه الا باستبدال قلبه المريض بقلب آخر سليم علما بأن العملية غير مضمونة النتائج . وتحدث الدكتور ناجى الى عائدة وشرح لها كل التفاصيل المتعلقة بحالة زوجها وقال لها انالامر لا يتطلب الانتظار وانه يتوجب اجراء العملية بأسرع ما يمكن وطلب منها أن تتحدث الى زوجها وأن تجتهد فى اقناعه بضرورة اجرائها دون ابطاء . انها مغامرة ولا شك لكنها مغامرة لابد منها . وما الحياة سوى مغامرة كبـرى . كان شـوقى مؤمنا بالله لا يعـرف اليـأس والتشاؤم والاستسلام حتى فى أشد الظروف حلكة وقساوة . يقولـون ان لم تجر له عملية فلن يقدر له أن يعيش طويلا ، ويقولون أيضا ان نجـاح العملية غير مؤكد . وهل فى مقدور أى طبيب مهما بلغ علمه أن يضمن لنفسه انه لن يموت بعد سنة أو بضعة أشهر أو أيام أو حتى بضع لحظات فما الفائدة اذن ؟.. كل شىء نسبى فى هذه الحياة وان هى الا فرضيات تظل دائما قابلة للصواب والخطـأ .

تقبل الامر بهدوء ونفس راضية . ولم يتردد طويلا ونزل عند ارادة الاطباء يجب أن يقدم على العملية ليس حبا فى البقاء بل من أجل عائدة . يبدو أن قلبه كان أصغر من أن يحتمل حبه العظيم لها فاصابه ما أصابه .

التحق بالمصحة وأجريت له العملية دون تعقيدات تذكر . ويعلـل الدكتور ناجى سر نجاح العملية على ذلك النحو وفى تدرج صحة شوقى نحو الشفاء بتلك السرعة المذهلة يعود بالدرجة الاولى الى تعلق شوقى بزوجته والى رغبته الشديدة

فى الحياة من أجلها . وان هى الا أسابيع قليلة حتى يغادر المصحة الى البيت ثم سرعان ما يتركه هو الآخر ليخرج الى الشارع والى الحياة والنـاس . كانت عائدة رغم سعادتها البالغة بشفائه واستعادته لسالف نشاطه تشعر بأن تحولا كبيرا قد طرأ على طباعه وسلوكه الامر الذى أثار قلقها ومخاوفها لكنها مع ذلك كانت تحاول تكذيب احساسها مرجعة الامر كله فى النهاية الى أنه لا يعدو أن يكون مجـرد توهم منها لا غير . حتى وان هى سلمت بوجود ذلك التحـول حقيقة فلا شك أنه ناتج عن حالة نفسية تولدت عن التجربة الخطيرة التى مر بها وان المسألة فى النهاية ليست سوى حالة عرضيـة سرعان ما تـزول وتختفى بمجرد شعوره بأن عافيته ردت اليه وانه خرج من دائرة الخطر نهائيا . ومرت سنة ومع كل يوم يمر كانت مخاوفها تتأكد.لقد تغير شوقى فعلا انقلب انسانا آخر غير الذى عرفته وأحبته واختارته لها قرينـا . صار حاد الطبـع شرس الاخلاق ، عدوانيا مشاكسا سريـع الغضب ، متقلب الاهـواء ، أنانيا مادى التفكير . وأصبحت معاملته لها تتسم بالخشونة والجفاف واللامبالاة . لم يعد يشركها فى أحلامه وآماله أو يهتم بأخذ رأيها فى هذا الامـر أو ذاك مثلما كان يفعل فى الماضى . كما لم تعد تسمع منـه كلمات الحب والهيام الـتى اعتادت سماعهامنه دائما . ونادرا ما أصبح يأخذها معه الى المسرح أو السينما أو حتى فى جولة قصيرة عبر شوارع المدينة رغم أنه صار كثير الخروج ، لم يعد يطيق البقاء بالبيت ، كما لم يعد يهتم بعمله . وكثيرا ما كان يعود فى وسـط الليل وهو يترنح من شدة السكر . كما تعلم التدخين أيضا رغم نصـح الاطباء لـه بالامتناع عن ذلك . تغيرت معاملته حتى لاصدقائه واصطدم مع بعضهم فى أكثر من مناسبة بل وأصبح يضيق بصحبتهم وفى النهاية قطع صلته بهم واحدا بعد آخر . واختار له أصدقاء من دونهم ، كما أصبحت له علاقات مشبوهة مع عدد من النسوة المنحرفات . حتى أسلوبه فى الرسم تغير هو الآخر فأصبـح يهتم برسم العرى وبالتركيز على الجانب المادى فى الانسان والحياة باعتبار ان المادة هى أصل هذا الوجود وهى كل شىء فى حياة الانسان .

عملت عائدة جاهدة لارجاعه اليها والى دنياهما الجميلة الاولى لكنها لم تفلح وذهبت كل جهودها هباء رغم محاولاتها العديدة معه . ويئست فى النهاية وكانت خيبة أملها كبيرة وصدمتها فى زوجها وحبها ثقيلة على نفسها الرقيقة فسقطت المسكينة مريضة . هل كتب لذلك الحب الصادق العظيم أن يموت هكـذا فجأة

وهو فى أوج ازدهاره وأن ينتهى كل شىء بينهما على هذا النحو المفجع ؟.. أليس غريبا حقا أن يؤكد الاطباء بأن قلب الانسان ان هو الا « مضخة مصفاة » لتنقية الدم ونقله عبر اجزاء الجسم المختلفة ولا علاقة له بالمرة بالعواطف والاحاسيس.

شعر شوقى بدوره بما صار اليه أمره . وذات يـوم جلس بمرسمـه يفكر ويتحاور مع نفسه ويسألها كيف حدث هذا الذى حدث . أيمكن أن تفتر عاطفته وتتبلد تجاه عائدة التى من أجلها وجد قبل أن تجرى عليه تلك العملية المشؤومة؟ وهل يمكن أن يموت بين جنبيه ذلك الحب العظيم الذى كان يحملـه لها حتى وقت قريب ؟ .. لقد تبدلت نظرته الى الناس والحياة ، وكلما تذكر كيف كان وكيف أصبح خيل اليه أنه يسترجع فى ذاكرتـه حلما جميلا عاشـه فى زمن لكن نهايته للاسف الشديد كانت مؤلمة وقاتمة حيث قدر له ان ينقلب آخر الامر الى كابوس مزعج ثقيل . أحيانا كان يشعر بالتمزق وبأنه يعيش صراعا وحشيا رهيبا لا تعرف له نهاية هو نفسه فيه الغالب والمغلوب معا . لم يكن فى الماضى يعرف الكراهية والآن لقد حلت الكراهية فى ـ قلبه ـ محل الحب وكم من مرة شعر انه يكره حتى نفسه . يكره ذلك الشخص الغريب الدخيل الذى حل فيه ودمر كل شىء جميل داخله وفى حياته . لـقد أضاع نفسه منـذ أن مات فيه شوقى القديم . لا .. لا يمكن أن ينتهى شوقى الانسان الشاعـر الفنان . بل يجب أن يحيا من جديد ليحيا الحب ويخضر ويزهر مرة أخـرى . نهض مـن مجلسه واتجه الى غرفة المكتب وأغلق بابها عليه ، تناول من أحد الادراج ظرفا كبيرا حوى مجموعة الرسائل التى كان تبادلها مع عائدة فى الفترة التى سبقت زواجهما وشرع فى قراءتها واحدة واحدة . وبعد أن فرغ منها أخذ « ألبوما » ضخما جمعت فيه كل الصور التى التقطت لهما معا فى مناسبات مختلفة ومضى يقلب فيه مستعيدا فى مخيلته تلك الايـام والذكريات الجميلـة الحلوة التى صارت الآن نسيا منسيا . أعاد ظرف الرسائـل و « مجمع » الصور الى الدرج واسترخى فى مقعده يفكر . شعر بصداع حـاد يعتصر رأسه ، انـه عاجز عن تحديد جملة المشاعر والاحاسيس التى كانت تضطرب داخل كيانـه فى تلك اللحظة ، أحاسيس متداخلة متناقضة مبهمة يعسر التعبير عنها بأية لغة عرفها البشر مهما كانت بليغة وقادرة على الافصاح عن أدق الخلجات التى يمكـن أن تعترى النفس البشرية فى أحوالها المختلفة

(4) طالب فى علم الاجتماع والفلسفة .

ويحل المساء ويظل ساهرا يقلب الفكر . ولم ينم فى تلك الليلة الا فى ساعة متأخرة بعد أن قرر فى نفسه أمرا .

فى الغد قصد مصحة الدكتور ناجى . طلب رؤيته وجلس يتحدث اليه شارحا له حالته والغاية من قدومه اليه . استمع اليه بكل اهتمام وعرف منه كل شىء . وحاول اقناعه بخطأ تفكيره وخطل رأيه وجعله يعدل عما جاء من أجله لكنه لم يوفق معه الى نتيجة . لقد ظل مصرا على موقفه لا يتزحزح عنه رغم اشعاره بخطورة الامر الذى جاء يعرضه عليه وتأكيده له مرة أخرى بأن لا صلة البتة بين العملية التى أجريت له وبين ما قد يكون أصبح يشعر به من تبدل فى طباعه وسلوكه وتفكيره وأمام اصراره على موقفه لم يجد بدا من النزول عند ارادته .

ويسأله شوقى وهو يهم بتوديعه :

ـ لقد فاتنى يا دكتور أن أسألك من قبل عن صاحب القلب الذى أحمله .

ويجيب الدكتور قائلا :

ـ انه قلب شاب فى الخامسة والعشرين من العمر قضى نحبه متأثرا بجراحه اثر اصابته من قبل رجال الامن فى عملية مطاردة .

ـ مات مقتولا برصاص الشرطة فهو مجرم اذن ؟ ..

ـ تقريبا .

ـ يا الاهى فأنا الآن أحمل قلب مجرم . شىء لا يصدق

ـ هون عليك يا أستاذ ، المسألة لا تستحق كل هذا .

ـ بالله عليك قل لى كيف .. ؟ سامحك الله يا دكتور تزرع فى صدرى قلب مجرم ثم تقول لى الامر بسيط .

ـ سبق أن قلت لك بأن لا فرق بين قلب مجرم سفاح وقلب عابد متبتل .

ـ من وجهة النظر الطبية طبعا .

ـ أجل

ـ أنا لا يهمنى ما يقوله الاطباء وانما الذى يهمنى هو ما أشعر به بالفعل . ولكن دعنا من كل هذا يا دكتور وحدثنى عن ذلك الشاب من هو ؟ ..

كيف كان يعيش ؟ ..

ـ هو شاب فقيـر تربى يتيما ، تـرك الدراسة فى سـن مبكرة ، اختلط بالمنحرفين والسفلة وهو مـا يزال صبيا وصار واحدا منهم . تقلـب فى عدة أعمال مشبوهة ويقال انه فى الفترة الاخيرة من حياته صار زعيما لعصابة من المتاجرين بالمخدرات . هذا كل ما أعرفه عنه .

ـ كفى .. كفى يا دكتور أرجوك لقد اتضح لى الآن كل شىء . ان ما سمعته منك الساعة يجعلنى أكثر اصرارا من أى وقت مضى على اجراء العملية .

ـ لقد أكدت لك أكثر من مرة بأن لا علاقة بين وجود قلب غريـب بجسمك وبين ما قد يكون طرأ على شخصيتك من تغيير كما تقول .

ـ من حقك أن تعتقد ما تشاء وأن تقول ما يحلو لك ولكن من حقى أنا أيضا أن أفعل بجسمى ما أريد . يجب أن تعيدوا الى قلبى وفى الحال .

ـ حاضر . فقط أرجوك من غير انفعال ، ان التوتر يسىء الى صحتك كثيرا .

ـ صحتى لم تعد تهمنى ما دام هذا القلب الملعون يخفق بين جنبى .

ـ سنعيد اليك قلبك فلا لزوم للقلق .

ـ حسنا . متى ؟..

ـ فى أى وقت تشاء .

ـ اليـوم .

ـ هذا غير ممكن . غدا تدخل الى المصحة وبعد أيام نجرى لك العملية .

ـ يجب أن أهيأ للعملية أولا ، أشعة وتحاليل وفحوص ، اليس هذا ما أردت قولـه ؟ ..

ـ بـلى .

ـ انه روتين لا مبرر لـه .

ـ بل هو عمل لابد منـه .

ـ الامر متروك لك فى النهاية يا دكتور فافعل بى ما تريد .

شكر الطبيب وودعه على أن يعود فى الغد . وقد قـرر فى نفسـه ألا يخبر عائدة بالامر رأفة بها وان يزعـم لها بأنه مسافر فى مهمة بالخـارج تستغـرق بضعـة أيام .

فى الغد توجه الى المصحة وهو يحمد الله الذى ألهمه بأن يطلب من الدكتور ناجى أن يحتفظ بقلبه بمصرف القلوب . وأجريت له العملية وكانت موفقة .

وفى اليوم الذى قرر فيه الاطباء السماح له باستقبال الزائرين طلب استدعاء زوجته وكان قد أوهم الدكتور ناجى عند دخولـه المصحة بأنها مسافـرة حتى لا يفكر فى الاتصال بها . وكانت مفاجأة كبرى لعائدة لم تكن تتوقعها .

دخلت عليه فى تهيب مضطربة الخطوات . ورأته ممددا فى الفراش يبتسم لها وكان الضعف باديا على محياه وجاءها صوته ضعيفا حنونا :

ـ عائدة يا حبيبتى .. تعالى لقد عدت اليك من جديـد ، ردوا الى قلبـى . أمسكت يده بين يديها وقربتها من شفتيهـا وانحدرت دموعها غزيـرة مدرارة وشعر بها تنساب ساخنة على كفه النحيلة فرفع يده الاخرى وأخذ يمسح بها على رأسها ووجهها فى حنان مجففا دموعها الفضية المتقاطرة على خديها مرددا فى سعادة وحـب :

ـ عائدة هل تذكرين يا حبيبتى ما قلته لى صبيحة يوم زواجنا ونحن نتمشى على شاطىء البحر من أن حياة الانسان لا تقاس بعدد السنين التى عاشها بالفعل وانما بعدد الايام التى قضاها وهو يحب ؟ ..

أو مأت برأسها مؤيدة ولم تقل شيئا بينما تابع هو يقول :

ـ الآن أشعر بأن الحياة قد ردت الى ، وان قلبى هذا المتعب المريض لا يخفق الا بحبك ، ولا يهمنى بعد الآن كم سأعيش من السنين ولكن الذى يهمنى أولا وآخرا هو أن أعيش وأن أموت وأنا أحـك .

محمد الخموسى الحناشى

الارميني هوفنس ملكونيان (*)
ترجمة : أبو بكر العيادي

احتضـــار

يوم خريفي كئيب أظلمه المطر المعلق فوق المدينة . من خلال الستار ترى البيوت الصغيرة والفوانيس واصطفاف شجر الصفصاف المستقيم على طول الشوارع . تحت زخات المطر الرتيبة تتأرجح ذؤاباتها فى تواتر منتظم . هوائيات الراديو والتلفزيون التى تعلوها تماثيل صغيرة تبرز فوق السطوح كابر مغروزة فى وسادة صغيرة . المطر يخلص الهوائيات من أتربتها ويواصل بلا توان غسلها ، وهو يغطى صياح طيور الزاغ وعصافير أخرى مقيمة فى أغصان الاشجار العارية جماعات .

عندما ظهرت الشمس لمعت الهوائيات : بعضها يفخر بطلائه الجديد والبعض الآخر باشعاع معدنه .

قلت فى نفسى : سأزيح الستائر وأفتح كوة النافذة لأمكن عمتي العجوز «اسبرام» من سماع همس المطر وتنشق نداوة الخريف . ناديت «عمتى !» فلم تسمع . « عمتي ! » لم تسمع كذلك . « عمتي » سأفتح كوة النافذة . المطر ينزل . أنت تحبين المطر كثيرا . اليس كذلك ؟ هل تذكرين عندما كان المطر يهطل ـ لم تمرضى بعد ـ كنت تفتحين النوافذ والابواب على مصاريعها وتقفين على العتبة وتتمتمين وأنت تقومين بالتصليب : « أيها المطر ، يا هبة الاله . طهر عظام مواودى الاول ابنى « اندرانيك » طهر عظام « زنازان » ،

(*) ولد هوفنس ملكونيان عام 1937 فى قرية « انى ـ بمزا » بجمهوريا ارمينيا السوفيتية . تخرج من جامعة اريفن عام 1960 . نشر قصصا وروايات عديدة .
من مؤلفاته : « القافلة » ـ « صوت الارض النائية » ـ « الدراجة » .

طهر عظام « ملكون » ، طهر عظام « أرارات » ، طهر عظام « تاكوي » ،طهر عظام « بركيف » ، طهر عظام « نازافي » ، طهر عظام « سوغومون » طهر عظام « سوسمبار » ... اهطل يا مطر ، اهطل ... لتنبت على قبوركم الوحيدة أزهار لا شوك . أيها السحاب ، لتحمل دوي رعدك الى آذان أعدائنا ليصمهم . ليصبهم البرق بناره ولتيبس ألسنتهم . لتملأ الريح عيونهم رمادا. لتعمهم..»

تجد عمتي صعوبة فى الكلام فيند عنها عوض الكلمات أنين : توافق أن أزيح الستائر وأفتح الكوة . فامتثل . صار أنينها الآن علامة رضى : أحسنت صنعا بفتحها . قلت فى نفسى : كم من أمر يمكن التعبير عنه بأنة . إنها لغة الانسان على فراش الموت .. الأنين كلمة الانسان الاخيرة . ينطق به فيتصلب.. ننسى لغة البشر مع كل ما قيل طوال حياة كاملة : لعنات ، مباركات ، أيمان ، وعود ... ننسى كل ذلك ونرتقى تاركين فى الارض كل ما صنعته يد البشر . أعمال البشر الطيبة والسيئة كمياه البحار والمحيطات والبحيرات والأنهار والمستنقعات ترتفع نحو الشمس الحامية فتعرى الملح والحمأ والعفن . مثلما المطر ينشأ البشر أنقياء حسانا ولكنهم فى نهاية عمرهم تختلط أرواحهم مثل قطرات المطر المنهمرة على مستويات ماء مختلفة بالملح والحمأ وتمتلىء نتونة تبعا للوسط الذى تقع فيه .

عمتي ، هل تذكرن : احتضنتنى وضممتنى الى صدرك ـ هكذا يختلط الخيط الاسود بالخيط الابيض ليشكلا كبة ـ ودعوت الله الا أصير أبدا ، وأنا ابن أخيك ، المطر المنهال على الملح والحمأ والنتونة ... كلا لن أكون كذلك . سأكون المطر الذى يروي الغابات والحقول والينابيع الجافة ، والصحارى المحرقة وسأعرف مثله كيف أنبت فيها بذرة الحياة رغم الشمس الملهبة . سأفعل كل ما فى وسعى . هذا ما كنت تعنين حين تروين أسطورة السنديانة الاولمبية التى تستعمل أغصانها لبناء مدينة « سيريك » فى ليلة واحدة وفى الصباح تنبت أغصانا جديدة . كل ما فى وسعى . ربما أستطيع أن أصبح مثل هذه السنديانة ...

أطلقت عمتي أنينا أكمد ، إيذانا بوجوب ادارة وجهها فى اتجاه النافذة . ساعدتها . المطر الكسلان المبقبق كئيب ورتيب بلا رعد ولا برق ، بلا نار ولا دخان .

هذا المطر امرأة عجوز .

ناديت عمتي : ربما احتاجت الى شيء ما ، فقالت لى فجأة :

ـ أوه . أريد شيئا من الغلنطر .

سألت فى اندهاش :

ـغلنطر ؟ ما هو ؟

فردت عمتي حالمة وهى تحدق فى النافذة وفى المطر كأنها تحدث نفسها :

ـ لو كان لى منه لغليته وشربت نقيعه . فذلك يعيد الى الجسم قوته ... لو كان لى منه حتى غريسة .. غريسة صغيرة .

ـ أين يوجد ؟ قولى لى أين أجده . سأبحث عنه وآتيك به .

ـ آه لو كانت حتى حزيمة من الغلنطر !...

ـ ما هو ؟... هل يباع فى السوق ؟

ـ الغلنطر ؟... حتى حزيمة . لا شيء غير غريسة . غريسة صغيرة واحدة.

ـ انها نبتة . أليس كذلك ؟ قولى لى أين تنبت وأنا آتيك بها .

ـ الغلنطر ؟... إنها صغيرة جدا وذات وريقات صغيرة الحجم . مثل قدة صغيرة ، صغيرة جدا ... لا شيء غير غريسة ... لقد قطفت منها كثيرا حين كنت طفلـة ...

ـ هل هى موجودة فى هذا الفصل ، الخريف ؟.. قولى لى أين أجدها ؟

ـ بعيدا . ابعد من مهدي ... شيء من الغلنطر ... حتى غصن ، وريقة كنت وضعتها تحت لسانى وشفيت .

ـ غلنطر ... سأسجله فى كنشى .. بداية من الغد سأقوم بجولة فى القرى على متن سيارتى ، وسأسترشد . سأقلب السماء والارض لأجده .

ـ غلنطر ؟.. أين ستجد الغلنطر يا ولدى ؟ لا يوجد غلنطر على الارض . لو ذهبت الى الشمال فلن تجده ، الى الجنوب لن تجده ، الى الشـرق لن تجده

أيضا ... اتجه الى الغرب . فى « موشا » هناك شجر القرانبة . فى « أفغارد » توجد شجرة تستعمل أغصانها لضفر سـلال تحمـل لقطـف الغلنطـر ... الغلنطر .. لو تحاول ، هه ؟.. ستأتينى به ؟

ـ لم لا يا عمتي ؟ طبعا سآتيك به .

قلت ذلك وأنا متوقع ماذا سيحدث . فى لحظة صارت عمتي كطفلة صغيرة. احمر وجهها المجعد الشاحب . قلت فى نفسى ان ذلك يعنى انها ستموت هذه الليلة ... عندما يذكر شخص صباه وهو على فراش الموت فمعناه أن المـوت قريب . بقيت وحيدا . كبس الخوف على صدرى . لو تموت عمتي هذه الميلة... يجب ألا أعارضها فى أى شيء والا عادت الى رشدها . وهـذا لا يزيدهـا الا عذابا . لم أعد أذكر من قال لى ذلك ... قيل لى أيضا : ما إن ينـام الانسـان نومة الأزل حتى يصبح لزاما أن تسبل عيناه ويمدد جسمه وتبسط يداه على صـدره ...

ـ هل تستطيع أن تأتينى بالغلنطر ؟

لم تعد أمامى « اسبرام » ذات العقود الثمانية بل طفلـة فى الخـامسة من عمرهـا .

ـ نعـم .

ـ طيب . اذهب وائتنى به . كيف ستذهب ؟

ـ مـاذا ؟

ـ لديك حصان ؟ لتذهب على الحصان .

ـ نعم لدي حصان .

كان صوتى يرتجف كأنى رأيت ثعبانا . يجب أن أنادى الجيران . الخـالة « اطلَس » مثلا ... ولكن كيف أغادرها ؟ وماذا أقول لهم ؟

ـ ما لون حصانك ؟

ـ اللون الذى تفضلينه .

ـ هل هو أسود أو أبيض ؟

فقلت وأنا أحس أن قميصى صار دبقا :

ـ عندى واحد أسود وآخر أبيض .

كان عرقا باردا . لاول مرة أعرف الخوف . مم أخاف ؟ إنها عمتي على كـل حال . لن تفترسنى !...

ـ اركب الأبيض .

استرجعت أنفاسى ومسحت قطرات العرق عن جبينى .

ـ سأذهب فى منطاد يا عمتى .

ـ منطاد ؟.. الغلنطر ينبت فى الارض لا فى السماء .

ـ ولكن يمكن أن أنزل . سأجد وسيلة للنزول وسأضفر سلة بأغصان شجرة « اغفارد » .

ـ انتظـر !

ـ نعم يا عمتي ؟

ـ انتظر ! أنت تعرف شجرة « أغفارد » ؟

ـ كلا . ساسأل الناس فيدلوننى .

ـ تسأل من ؟

ـ ألا يوجد أحد هناك ؟ سأجد حتما من أسأل .

خيل إلي أنى سمعت عمتي تقهقه . ناديتها :

ـ عمتـي !

ـ انتظر . بقي شخص واحد قادر على ارشادك . لن أقول هـذا الا لـك . أغصان شجر «اغفارد» حمراء . هل تعرف الجانركة ؟

ـ نعـم .

ـ أغصان « اغفارد » تشبهها كثيرا ... الطريق الذى يـؤدى الى كنيسـة « سان ـ كارابيت » يوصل الى الغرب عبر الهضاب . سر فى هذا الطريق .

ستبلغ عينا وتشرب منها . ثم تغادر الطريق وتتبع التيار لتنحدر حتى سفح الجبال . هناك ستجد شجرة « اغفارد » . لا تنس ، هه ؟

ـ لن أنسى يا عمتي ... هل تريدين أن آتيك بجرعة ماء ؟

كان يمكن أن تكون تعلة للخروج من الغرفة ومناداة الخالة «اطلس» لاقول لها : إن عمتي فى حالة سيئة ، وأنها تهذى ويجب أن تأتى .

ـ لا . لا أريد ماء . أعد . ما هو الطريق الذى يجب ان نسلكه .

ـ يجب أن أمر أمام كنيسة « سان ـ كارابيت » ...

زفـرت :

ـ أوه . ما أصعب الموت !.. ثم ماذا ؟.

ـ من كنيسة « سان ـ كارابيت » الطريق يعبر الهضاب ويتجـه نحـو الغرب . اسلك هذا الطريق .

ـ ستذهب حتى العين ...

ـ عندما أبلغ العين ، أحيد عن الطريق وأتبع الضفة اليسرى وأنحد رمع التيار حتى سفح الجبال .

ـ وجدتها . وجدت شجرة « اغفارد » . ستكسر الاغصان السفلى اليابسة.

ـ لمـاذا ؟

ـ لقد جفت الاغصان ناحية الشمس . من الجهة الاخرى تقطـع النباتـات الصغيرة . تصنع قاع السلة وتبدأ الضفر . وأعتقد أنك تعرف ضفر السلال.

ـ نعم يا عمتي .

ـ هيا أريد أن أرى .

ـ مرت لحظات .

ـ ضفرتها ؟ ضعها على كتفك واذهب حيث أقول لك . اذهـب الى سفـح الجبـل .

صمتت لحظة .

ـ هـا أنـذا .

ـ شربت من العين ؟

ـ نعم يا عمتي .

ـ توقف . فك قليلا حزامك . والآن سر . خلف الهضاب هناك واد .

ـ صحيح يا عمتي يوجد واد .

ـ ينثنى عبره جدول . اذن من الماء اخلع نعليك . غطس رجليك المنهكتين فى الجدول .

ـ ها أنذا غطستهما .

ـ انهض الآن . طف بالوادى . فيما وراء الجدول هناك كثير من الغلنطر اقطـف .

سكتت عمتي وهى تحدق فى .

فى جزء الوادى الذى يقع فى الجهة الاخرى من الجدول يوجد فعلا كثير من الغلنطر . أخذت أقطف . ملأت سلة . عدت الى الجدول . هل أخلع نعلى من جديد ؟.. لا يهم . خلعتهما وغطست رجلى فى الماء وعدت من نفس الطـريق . اقتربت من العين .. هل أشرب ؟.. حسنا . شربت . نـزلت الجبل عبـر مسلك وعر .

كان منطادى ينتظرنى فى الحقل . صعدت على متنه وبعد ساعتين كنت فى «اريفن» . اقتحمت غرفة عمتى وفوق ظهرى سلة ملآنة غلنطرا .

ـ ها هو ذا يا عمتي .

حدجتنى عمتى بنظرة خابية دون أن تنبس بكلمة . قلت بصوت عال :

ـ خذي يا عمتي .

لـم تجـب .

ـ عمتـي !

صمـت .

ـ عمتـي !

وانتفضت منتحبا . لم تنتظرنى ...

أسبلت عينيها . مددت جسمها المتصلب . بسطت يدهـا على صدرهـا . آه يا عمتي . عمتي ... لو انتظرت قليلا كنت أتيتك بغلنطرك . كان عليك أن تتريثى قليلا ، لفترة وجيزة جدا .

ترجمة : **أبو بكر العيادى**

عبد القادر الدردورى

حكايـات عـن حـزن عـربى مخنـوق

الى : أم فلسطينية ودعت ابنها مزغردة

①

اعرف انك وحدك تصارعين امواج المحيط ، المشحونة بحقـد الـزوابـع وقرقعة الصواعق ولعلعة البروق ، وسياط المطر .. وحدك وحدك تصارعين . ولانك وحدك ، كان الزمهرير يحك العظام ويختنق العروق ...

ولانك وحدك ، كان الليل بلا نجوم ...

ولانك وحدك ، كانت الدموع اكبر من الاجفان ، والصرخات اعظـم مـن الحلوق ولانك وحدك ، كنت تهتزين وتدورين وتتلولبين ، فيتمزق شراعك... شراعك يتمزق .. يتـ ـمـ ـزق ... ق . فهل يفهمون معنى ان يتمـزق شـراع سفينة تصارع امواج المحيط المشحونة بالحقد ؟ ولكننى افهم ذلك .. اعرف بيقين ثابت ـ ان كل مزقة من شراعك الممزق ، تصير ـ اشرعة جـديـدة تسخر من المحيط بأمواجه وزوابعه وصواعقه ، الا تعرفين ، الآن ، ان من كنت تتوسمين فيهم النجدة قد شغلتهم عنك بطونهم وخزائنهم ، فجعلوا للذبح مهرجانا وللنخاسة سوقا ؟ اذن ... كيف لا يمزق الحزن حنايا القلب ويتمرد على الضلوع والخلايا ، وآلام العجوز يتوزع ابناؤها على المحطات ، ويرحلون عبر التأوهات ، فلا هى لزوجها الشهيد ، ولا هى لدموعها ولا هى لقبلاتها ، ولا هى لزغاريد البطولة والوداع ؟... اعرف انك وحيدة ، ولانك وحيـدة كنت حزينة ، وحزنك المقدس هو الذى يعلمنى التفكير ويخلق لى الاحساس، فهل بيدى ـ يا حبيبتى ـ ان احب اولا احب وخيالى يترامى خـارج ارادتـى والشروق دم يغسل العالم من عذابات ليل مـوحـش ، بارد ؟ فمتى تمـوت الامواج بغيظها ؟

②

ثور · اثنان · ثلاثة ··· ثلاثة ثيران · ابيض ، واحمر ، وأسود ، جمعهم حبس الحياة وقساوة الظروف مع أسد لم يجد له مكانا لائقا بين الاسود ، ومواجهة المجهول» فنظر الثيران الى بعضهم ، ثم قالوا ، بفم واحد ، كالمسحورين قد صار الدهر يثقله بالهرم ويشحنه بالشيخوخة ، فوجد له مكانا بين الثيران، يتعايش معهم ، ويتفاخرون به كالعمشاء بين العميان · قال الاسد العجوز للثيران بلسان يغزل الحرير : «نحن اشباه وانداد ·· تجمعنا ضرورة العيش ومواجهة المجهول» فنظر الثيران الى بعضهم ، ثم قالوا ، بفم واحد ، كالمسحورين المأخوذين : «وعلى الضالين ، آمين» فتضاحكوا وتراقصوا ·

بعد الاكل والشرب ، انتصب الاسد الهرم ناصحا : «ينبغى ان نصون صحبتنا من كيد الكائدين وغدر الغادرين ·· وان شاء الله ، ما دمت معكم فلن ينالكم مكروه ... » واستحسن الثيران النصح فازدادوا به اقترابا من الاسد ·· الاسد الهرم العجوز ····

③

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

زعموا انه كان (فى سالف العصر والاوان) يهودى يسكن فى حى المسلمين ··· كان السكان لا يذكرون اسمه الا ويلحقون به قولهم : «عليه الخزى» وكان ، هو ، يخافهم فيجاملهم ويتملقهم فيسمى كل واحد منهم ، صغيرا او كبيرا ، بشيدى (*) كضريبة دائمة يؤديها فى ذل وصغار ، اذ كثيرا ما يعمد البعض الى صفعه على قفاه فيجيب عن ذلك بقوله : «الله ينجيك شيدى * » فيثير الضحك من حوله ، وهو لا ينطق السين الا شينا · لكنه عندما يختلى بنفسه فى بيته ينفس عن ذاته ببطيخة حمراء يشتريها من السوق كل يوم ، فيتفخذها ويأخذ فى طعنها بخنجره قائلا : «هكذا افعل لشيدى المشلم ···» (*) ، حتى سمع بفعلته جاره المسلم ، فعمل على الانتقام منه وتأديبه ، فتسلل اليه ، يوما ، واختفى تحت سريره ، يتحقق مما سمع ···

(*) كان اليهود عندنا ينطقون السين شينا : سيدى = شيدى · المسلم = المشلم ·

شلك .. شلك ... شلك (**) ... ودخل اليهودى بيته .. جلس على الارض .. تفخذ البطيخة بانشراح وغبطة .. استل خنجره ، قبله فى وجهيه ، متمتما بعض الكلمات الدينية ، ثم شرع فى الطعن ، فكان كلما غرس الخنجر فى البطيخة وسال ماؤها ، صاح تلذذا بكل حقد وتشف : «هكذا افعل لشيدى المشلم» حتى هدر وتخمر وتزبدت شفاهه ، فلم يشعر الا والمسلم يأخذ بخناقه صارخا والشرر يتطاير من عينيه : «ماذا تفعل ، وتقول ايها المخزى ؟ » فسقط اليهودى بين يديه مرتعشا مرعوبا ، وما ان دخلت عليه زوجته حتى ارتمى عليها وتدرع بها ملتصقا ، فقهقه المسلم قهقهة كأنها السياط ، ثم قال لليهودى «سأذبحك واشرب من دمك» فارتمى اليهودى عند قدميه مقبلا مسترحما نائحا فأبعده المسلم بقدمه قائلا : «اسمع ايها القذر الحقير .. انا لا أريد أن ادنس خنجرى بك ، ولكن .. سأفعل الآن ما افعل وما عليك الا ان تمسك بهاتين الكمثرتين ، واقفا دون حراك ، واياك ثم اياك ان تميل الواحدة على الاخرى فأقتلك شر قتلة ..» ففرح اليهودى ممتثلا ولسانه يلحس دموعه : « ربى يبقيك يا شيدى ، ويرحم والديك .. » .. وفعل المسلم فعلته وخرج ولما اطمأن اليهودى الى خروجه انفجر ضاحكا لزوجته الباكية : «افرحى يا روحى .. افرحى .. لقد غششته فأملت الكمثرى على اختها دون ان يشعر ذلك الغبى .. هه .. هه .. الحمد لله الذى أعماه ..» فقاطعته عابسة غاضبة : «هو يفعل ما يفعل والآخر يقطع له فتيل الغطاء ؟» اجابها متنهدا : «من لا تقدر عليه فدس على ظله» .

④

كان .. يا ما كان ، وما يكون ما كان .. فلا تقولوا من اليهودى وماذا يعنى ؟ ومن المسلم وهل هو هو ؟ ومتى يزعم اهل الزعم ان قمة المأساة تكون فى انصهار الحيوان الشرس فى الانسان الغبى ، وانصهار الانسان الغبى فى الحيوان الشرس ؟ لا .. لا تقولوا ذلك والكلبة تكلب ولا تأكل أولادها ، والحرة تجوع ولا تأكل بثدييها ؟ أرجوكم لا تقولوا شيئا لان الاسد الذى كان هرما ، قد أخذت أسنانه تشتد وتقوى فجاء الى الثورين ، الاسود والاحمر ، يقول لهما متخوفا : «صاحبكما الآخر له لون مميز ، قد يكون خطرا علينا ،،»

(**) صوت الحذاء الممزق عند ارتطامه بالارض .

ويستريح متنهدا ليتابع كلامه : «.. لعل الاسود الجائرة تكشفنا به ، فتنقض علينا وينتهى وجودنا» قال الثور الاحمر : «نعم .. الثور الابيض خطر علينا.. تبكى امه ولا تبكى امى ، يا اخى» وأضاف الثور الاسود : «رأسه ولا رأسى» فأردف الاسد : «اذن .. هل تسمحان لى بأكله حتى نتخلص من شره وتكتب لنا النجاة ؟» فأجاب الثوران بفم واحد : «هولك صحة وقوة وشفاء» فضحك الاسد معلقا : «وهو لكم خلاص واطمئنان» ثم انصرف الاسد ليأكل أخاهم الثور الابيض فيصير الثيران الثلاثة ثورين اثنين ... احمر وأسود ..... أسود وأحمر ...

⑤

وأزعم ان امرأة تدعى فاطمة ، كانت تعيش فى عصمة زوج يدعى حامد .. هو يحمى شرفها ، وهى تصون عرضه ، هو لباس لها ، وهى لباس له ، على سنة الله ورسوله . وازعم ـ مرة أخرى ـ ان الليل البهيم المطير قد جن عليهما فجعلهما يلتصقان بالفراش ، ويلصقانه بهما، فيكبتان الانفاس، والليل سميع . قالت فاطمة لحامد : « اسمع ؟ » لم يقل لها : «وماذا اسمع؟» فهو يتناعس وهى مشدودة الى وقع خطوات تقترب ببطء نحو البيت .. الخطوات تقترب والقلوب تهتز ، والغطاء يرتعش ، فهمزت فاطمة زوجها بمرفقها هامسة : «افق .. سارق بالباب» أجابها متخافتا متثائبا : «نامى .. ولا تحملى هما .. زوجك رجل .. رجل وعليه الكلام .. شواربه ... تكتف بغلا» وازدادت الخطوات تقاربا . حتى كأنها تطأ القلوب .. تطرق المسامع ، فأعادت فاطمة الهمز بأكثر حدة والحاحا ، لكن يتثاءب : «أف منك . أف ... كم انت جبانة ! دعيك من الثرثرة ونامى فتواصل الحاحها : «كفاك انخذالا ونوما .. انه اللص يفتح بيتنا» فسارع باغلاق فمها بيده : «ان كان حقا ما تقولين فسترين زوجك العظيم أسدا هزبرا نامى .. نامى» ودخل اللص عليهما ، البيت ، فالتصق حامد بزوجته فهزته مشجعة لكنه يزداد بها التصاقا واللص لا يلتفت اليهما بل ينهمك فى جمع الاثاث حتى لم يبق منه الا الغطاء يتلملم ـ داخله الزوجان وينخذلان . فكر اللص ثم قدر . قدر وفكر فرأى أن يأخذ الغطاء ، قد يصلح له ولا يصلح لهما ماذا يصنعان به والنفوس تتغطى وتتعرى من داخلها ؟ وأخذ اللص الغطاء ، وعندها لم تجد فاطمة الا ان تقفز على اللص رغم ضعفها وهزالها ، بينما زوجها ، الذى يحمى شرفها ،

ينزوى فى ركن من أركان البيت مصفقا : «ستغلبه فاطمة ، ستغلبه فاطمة ، وبعد ذلك سأريه قوة الرجال وعظمتهم ..» حامد يصفق .. يصفق ..

⑥

ارجوكم .. لا تسألوا عن فاطمة ، عن حامد ، عن اللص ، عن البيت ، عن الغطاء . لا تسألوا لان الجواب مخيف مخجل ، محزن ، مخز ، مرعب ، ولانه كان كذلك ، ولن يكون غير ذلك ، فان يوما آخر يجىء فيجىء ، معه ، الاسد الى الثور الاسود يقول له : «لقد أحسست ان الاخطار ما زالت تلاحقنا» قاطعه الثور الاسود : «كيف ؟ ولماذا ؟» اجاب الاسد هادئا تملؤه الثقة : «هذا الثور الاحمر ، صار كارثة ، لونه صارخ مفضوح سريع الانكشاف ، من بعيد ، وهذا م ايجعلنا فى كماشة الخطر» فانزعج الثور الاسود : «والحل ؟» فابتسم الاسد بسمة عريضة ، مملوءة ثقة ، ثم قال : «اكل بسيط .. بسيط جدا ، لا يكلفك اكثر من ان تسمح لى بالتخلص من هذا الثور الابيض الكارثة» فتنهد الثور الاسود مستريحا : «فقط ؟ اجهز عليه وخلصنا منه تبكى امه ولا تبكى أمى ، رأسه ولا رأسى ، فحياتى قبل كل شىء . ولارحم الله هذا الثور الكارثة ...»

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

⑦

ماذا لو قالت فاطمة لزوجها : «هيا اضرب اللص» ؟ حتما سيقول لها : «انا مسالم اكره الحرب» ولو قالت له : «الحرب مفروضة علينا ولا بد من رد العدوان» لاجابها : «ان الحرب لا تعنينى . هى بعيدة عنى ، وعندما تمسنى سيكون لى معها شأن» فلو قلتم له : «ان اللص فى بيتك» لقال : «ليس فى الغطاء» فان صرختم فيه : «انه فى الغطاء» فسيجيبكم بأنه : «ليس فى الملابس» ولو تتبعتم المجنون الى باب الدار وقلتم لحامد : «اللص فى الملابس» لقال لكم: «فى المال ولا فى الابدان . اخطا راسى واضرب . تبكى امك ولا تبكى امى» لماذا ؟ هه .. هه اتنسون انه تعود على التصفيق والقوقأة والنقيق ؟ عودوا ، اذن، من رشدكم الى ذاكرتكم، ومن ذاكرتكم الى رشدكم ستجدوا ان جحا القديم ما زال حيا ، يتفرج فينا وعلينا ، فلا تناديه يا فاطمة .. لا تناديه ، لانه لو كان يفقه او يعقل لرأى الاسد ينتصب امام الثور الاسود يقول له ضاحكا

مختالا متعفرتا : «هل عرفت الآن أننى جئت آكلك ؟» فيطأطىء الثور الاسود رأسه بانكسار ذليل ويتمم «لقد أكلتنى يوم ان اكلت امامى الثور الابيض وانا اتفرج ...»

®

قال الطفل لابيه ودموعه تحتضن جهاز التلفزيون : «لماذا يا ابى ، امواج الحقد تحاصر السفينة ولا تمتد اليها قوى النجدة ؟ لم يتكلم الاب ، لم يسكت الطفل ... اعاد السؤال الدامغ مرة فمرة فمرة .. حتى الثانية والثمانين حيث رأى الطفل فى دموع أبيه صورة نجمة سداسية تنغرس سكاكينها فى هلال ابيض (وليس فى بطيخة ، جهارا تحديا وليس سرا) فتتصاعد النيران فيتساقط الاطفال مذبوحين وبنادقهم حمراء حامية ، مازال دخانها يتصاعد من فوهاتها ، وعجائز شبه مختبلات يفتشن عن اكبادهن . قال الطفل لابيه – مرة أخرى – بصوت متهدج «كيف هذا يا أبى ؟ أين الرجال ؟..» فتنهد الاب : «انها لعبة الاسد مع الثيران ، وحامد يصفق لان الاسد افترس الثور الاسود، وسيفترس يديه المصفقتين، وعينيه المتفرجتين وقلبه الجبان» وانخرط الاب فى بكاء كأنه العواء والنعيق والشهيق ، وهو يندس تحت الغطاء ، فيصرخ الطفل : «لا لن تخنق أحزاننا .. ثورى ايتها الاحزان .. تدفقى انهارا وبحارا يا احزاننا المشروعة .. تدفقى لتخلصى هذه الارض المقهورة من ارواح تتجيف .. تدفقى لتكسرى عصيا لا هم لها الا حصد البراعم وخنق الزهور.. تدفقى لتسقى جذورا ظامئة» ، ولم يكد الطفل يتهاوى فى حضن امه المشلولة حتى كان المغنى ينشد فى التلفزيون :

« بعد الرصاص ما سكت ، كان الرصاص بيفوح
الجو حابس آلامه والحجر مجروح
الاولى آه ، على عين يتيم بينوح
والثانية آه ، فين أبوه وأمه ، وفين حيروح
والثالثة آه كان لنا فى الشمس بيت وسطوح
يا قلبى دقت ايدين على بابك المفتوح

عيل يتيم على تل من الحجر بينوح
ويبص لك بعيون اوسع من الاجفان» (I)

كان يا ما كان فى سالف العصر والاوان ..... فمتى يكون ما ينبغى ان يكون ؟

عبد القـادر الـدردورى

أوت 1982

ـ قليبيـة ـ

(I) **فؤاد حداد** : يتيم فى بور سعيد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجديـد فـى القصـة والـروايـة

وشم على ذراع مقطوعة	(قصص)	**التـابعى الاخضـر**
للزمن القادم	(قصص)	**يـوسف سـلامة**
حكاية جنون ابنة عمي هنية	(قصص)	**حسـونة المصبـاحى**
مراتيج	(رواية)	**عـروسية النـالوتى**
النفير والقيامة	(رواية)	**فـرج الحـوار**
مدونة الاعترافات والاسرار	(رواية)	**صـلاح الـدين بوجـاه**
زيتونة الدم القديم	(رواية)	**محمد الطـاهر الضيفـاوى**
أعملة الجنون السبعة	(رواية)	**هشـام القـروى**
خبز الارض	(رواية)	**حسـن نصـر**

أحمد زياد محبك

رجـــل بيـــن المســـافـــرين

رأس صغير ، وشدق واسع عريض ، وأنف كبير مفلطح ، وعينان صغيرتان والجسم بعد ذلك هائل ، والبطن أكبر من برميل .

لا بد لكل من سافر الى خارج البلدة ، ولو مرة واحدة ، من أن يكون قـد رآه ، فهو يتنقل دائما بين المسافرين ، فى مركز انطلاق الباصات ، السيكارة لا تنزل من بين شفتيه الغليظتين ، وهو يلوب من مكان الى مكان ، يتفرس فى الوجوه ، بصمت وبلاهة ، فى ثيابه القذرة ، وشعره المشعث ، قد يتحاشاه بعضهم ، وقد يتحرش به آخرون ، ولكن غالبا ما لا يبالى به أحد ، فهويجوس فى أرجاء مركز الانطلاق ، بصمت ، مثل كلب أجرب .

ما كان يعرف باسم ، ولكن بعض الحمالين ، وأحيانا السائقين ، كـانـوا ينادونه بـ «شحمة» ، وغالبا ما يرمونه بسيكـارة ، أو يقذفـونه بشتيمـة ، ساخرين منه ، وهو يتقبل كل شىء ، الشتائم والسكائر ، ولا يطلب شيئـا البتـة .

أما الطعام ، فيكفيه ما يلتقطه من أرجاء المركز ، مما قد يرميه مسافر ، أو حمال من بقايا طعام ، واذا عز عليه العثور على شىء ، لجأ الى الباب الخلفى لمطعم المركز ، وعندئذ لا يضن عليه الخدم هناك بشىء من بقايا الصحـون ، ولكنـه نادرا ما كان يلجأ اليهم .

وحيثما غلبه النعاس كان يتمدد فينام ، على الارض ، ومن غير غطاء ، سواء فى صيف أم فى شتاء .

ومرة رآه أحد المسافرين ، فبهت ، ووقف يتأمله ، ثم سأله مستغربا :

«أهذا أنت يا «شحمو» ؟!» .

فلم يبال به ، ومضى ٠

فأضاف المسافر قائلا :

«يا خسارة ؟!»

لقد كان «شحمو» ، ثم أضحى «شحمة» ، وفى كل الاحوال ، لم يكن حاله كذلك فى البدء ، بل لم يكن حاله كذلك قبل بضع سنوات ٠

لقد كان حمالا من كبار الحمالين ، فى مركز انطلاق الباصات ٠ وكان يفرض هيبته على جميع الحمالين ، ولكن ذات يوم ، ولا أحد يعرف كيف حدث ذلك ، سقط تحت الحمل ٠ كان حملا عاديا ، ولكنه سقط تحته ٠ يروى أنه رفع مرة على ظهره باصا من مقدمته ، وظل يرفعه وحده ، حتى فك السائق العجلة الامامية ، وبدل بها واحدة جديدة ، لم ينتفخ له عرق ، ولم تظهر على جبينه حبة عرق ، ولكنه فى ذلك اليوم ، سقط تحت الحمل ، وما عاد بعد ذلك يحمل شيئا ٠

ومنذ ذلك الوقت أصبح «شحمو» ، فقد أصبح يقوم بدور «التشحيم» بين المسافر والحمال ، فتسير الامور بعد عرقلة ، فحيثما حل خلاف بين مسافر وحمال ، حول أجرة الحمولة ، كان هو الحكم ، يلقى نظرة واحدة الى الحقائب ، وأخرى الى المسافر ، ثم يقرر الاجرة ، وقوله هو الفصل ، يخضع له المسافر والحمال ، ولا غبن فيه ٠

كان آنئذ يتنقل بين المسافرين ، من الفجر الى وقت متأخر من الليل،لا يهدأ ولا يقر ، وصوته يجلجل هنا ، ولا أحد يعرف أين ينام ، وما من مرة رآه أحد ممددا على أرض ، أو فى ظل جدار ، فقد كان على الاغلب ينام على ظهر أحد الباصات صيفا ، وينام على مقعد داخله ، شتاء ٠

ويروى أنه كان قد تزوج مرتين ، وطلق ، وان كان هو نفسه لا ينفى ذلك، ولا يؤكده ، كما أنه كان لا يبدى اهتماما بالمرأة ٠

ويروى أنه كان مرة فى جلسة مع بعض الحمالين ، فاتهمه أحدهم بالعجز ، ونفور المرأة منه ، وهو يمزح ، فأمسك بعنق الرجل ، وكاد يخنقه ، لولا تأكيد

الحمالين أنه كان يمزح ، ولكنهم لم يلبثوا أن سألوه عن سبب تطليقه ، مرتين، فحدق فيهم ، ثم نهض ٠

ويروى أيضا أنه دخلت مرة الى مركز الانطلاق امرأة ، فى البدء لم يـولها شيئا من الاهتمام ، ولكنه فجأة نهض ، وأسرع اليها ، وحمل الحقيبة ، التى كانت فى يدها ، ثم قادها الى الباص الذى كانت تريد السفر فيه ، وهو ما لم يفعله من قبل ، وقد سئل بعد ذلك عن السبب ، فأجاب بأنه رأى فى عينيها ما لم يره قط ٠

وقد ظل يذكرها بين الحمالين أمدا ، ثم عاف ذكرها ٠

وكان يملك قوة رهيبة ، فقد روى أنه تخاصم مرة مع ثلاثة من الحمالين ، فطرحهم جميعا ، من غير أن يستطيع أحد منهم مسه ، ولكن فى اليـوم التالى خرج له أحدهم فجأة من وراء باص ، وطعنه بسكيـن فى بطنـه ، فانـدلقت أحشاؤه ، فبصق فى وجهه ، ولم يفعل شيئا ، غير أنه حمل أحشاءه بيديه ، وقفز الى أحد الباصات ، وطلب من السائق أن يحمله الى المستشفى ٠

وكان لا يقع فى يده قرش أبدا ٠

أما السيكارة ، فقد كانت له فى كل صباح علبة تبغ ، يقدمها له برضى تام، صاحب المطعم ، فى مركز الانطلاق ، فيأخذها ، وهو يشكره ، ولا يتردد بعد ذلك فى قبول سيكارة من هذا أو ذاك ، من الحمالين أو السائقين ، وربمـا طلبها أحيانا من أحدهم طلبا ٠

كما لم يكن له فى اليوم سوى وجبة واحدة ، يقدمها له فى المساء ، برضى تام ، صاحب المطعم أيضا ، فيتناولها ثم يخرج ، وهو يشكره ٠ ولكن اذا اجتمع بعض الحمالين على شرب الشاى أو على شىء من الطعام ، فهو المدعو الاول ، بل لا يجتمع اثنان من الحمالين ، الا كان هو ثالثهما ، بدعوة من أحدهما ، وربما دعاه الى شىء من ذلك بعض السائقين ٠

وكان لوجبة المساء ، التى يقدمها صاحب المطعم ، ولعلبة التبغ فى الصباح، قصة ، اذ يروى أن صاحب المطعم كان أكثر الناس بغضا له ، ولكنه أصبح أكثرهم حبا ٠ فقد تخاصم معه مرة ، من أجل أربعة من الحمالين ، تناولوا

عنده وجبة غذاء ، واختلفوا فى السعر ، وانتصر «شحمو» للحمالين ، ومنذئذ فرض على صاحب المطعم أن يقدم للحمالين وجبات بأسعار خاصة ، وقد غضب منه صاحب المطعم ، ولكنه لم يلبث أن رضى عنه ، وأخذ يقدم له كل مساء وجبة طعام ، وكل صنباح علبة تبغ ، فقد وجد أن السعر الخاص بالحمالين، قد حقق ربحا أكبر ، للاقبال الذى لقيه مطعمه منهم ٠

ولكن ، كل شىء تغير ٠

فقد حدث ذات يوم أن عين مدير جديد لمركز انطلاق الباصات ، فقرر جعل الحمالين عاملين فى المركز ، بأجور ثابتة ، يتقاضونها فى نهاية كل شهر ، وأن يقوموا بحمل الحقائب للمسافرين ، من غير أن يتقاضوا منهم شيئا ، وذلك بموجب تذاكر يشتريها المسافرون ، مع تذاكر السفر ، وعلى الفور قرر جميع الحمالين الاضراب ، وكان «شحمو» فى مقدمة المضربين ، وقد استمر الاضراب ثلاثة أيام ، انقطعت فيها أرزاق الحمالين ، وباتوا عرضة للجوع ، وكان «شحمو» يطوف بهم ، ويحضهم على الاستمرار فى الاضراب ، ويوحد كلمتهم ٠

وكاد الحمالون يقطعون الاضراب ، لولا تحريض «شحمو» ، ودعوته لهم الى الاستمرار يومين آخرين ، ومضى الى من يعرفهم من السائقين ، وأخذ يحرضهم على مشاركة الحمالين فى الاضراب ، فلم يستجب له أحد ، فلم ييأس ، ومضى الى المدير ، فدخل عليه ، وأخبره أن السائقين سيشاركون الحمالين فى الاضراب ، وأن بعض الحمالين ينوون القيام بعمل ما ٠ ثم عرض على المدير أن يستبدل بقراره قرارا آخر ، يحدد فيه أجرة الحمولة ، ويبقى الحمالون أحرارا ، يعملون لحسابهم الخاص ، ولكن المدير رفض ، وطرد «شحمو» ٠

ورجع الى الحمالين خائبا ، ولكنه نصحهم بالاستمرار فى الاضراب ، وحذرهم من العمل بأجور ثابتة ، وقال لهم : «لا تبيعوا أنفسكم» ٠ ولكن الحمالين لم يستطيعوا الصمود أمام الحاجة ، فخذلوه ٠

وغاب «شحمو» عن مركز الانطلاق مدة ، لا أحد يعرف أين أمضاها ، ولكنه لم يلبث أن ظهر فجأة فى المركز ، وعلى الفور أرسل المدير وراءه ، يطلب

مثوله بين يديه ، ولكنه لم يستجب ، وقال لاحد الحمالين : «بلغ مديرك أن شحمو صار «شحمة» • »

ومنذ ذلك الوقت أصبح «شحمة» •

ترك المطعم ، ولم يدخله أبدا ، وترك الحمالين ، ولم يجتمع مع أحد منهم على طعام أو شراب • وأخذ يظهر هنا ، وهناك ، بين المسافرين ، صامتا ، كالابله ، مشعث الشعر ، قذر الثياب ، كما أخذ لا يتردد فى التمـدد عـلى الارض ، ظهرا أو عصرا ، أو مساء ، فى ظل جدار ، أو تحت باص ، أو فى أى مكان ، وما عاد صوته يسمع ، وما عاد يناديه أحد ، الا سائق أو حمال ، يريد السخرية منه •

وذات يوم ، سأل أحد الحمالين زميلا له ، فقال :

«غريب ، لا أرى «شحمة» ؟!»

فأجابه زميله ، وكأنه ذكره بشىء ، كان قد نسيه ، فقال :

«حقا ، وأنا لا أراه أيضا» •

ثم مضى كل منهما الى عمله •

وفى يوم آخر ، أو ربما بعد يومين ، تناقل الحمالون نبأ موت «شحمة» • روى أن أحد السائقين كان يتجه الى باصه الذى كان فى أقصى مركز الانطلاق، فرأى جثة «شحمة» فى ظل جدار ، وقد روى أنها كانت غير متفسخة ، مما يرجح أنه تم العثور عليها بعد الوفاة بوقت غير طويل •

ونقل جثمان «شحمة» فى سيارة اسعاف ، من غير جلبة ، ولا ضجيج ، ولم يعرف أحد سبب الوفاة ، أو طبيعتها ، ولعل أحدا لم يسأل عن ذلك •

وكان المدير يومئذ فى اجازة ، ولم يعلم بالنبأ الا بعد مدة •

أما صاحب المطعم فقد روى أحد الحمالين أنه رآه وهو ينظر الى سيـارة الاسعاف خارجة من المركز ، والدموع تترقرق فى عينيه • وقال ذلك الحمال

أيضا : ان صاحب المطعم أبدى أسفه ، وتمنى ألا يكون «شحمة» قد مات من الجوع ٠

وبعد وفاة «شحمة» ربما بأشهر ، قال أحد المسافرين ، ذات يوم ، للحمال الذى كان يحمل حقيبته ، وهو ضائق متذمر :

«ثلاث ليرات أجرة حمل حقيبة صغيرة ؟! شيء غير معقول ؟!»

فأجابه الحمال :

«اذنبى أنا ؟! هكذا النظام ، تقطع تذكرة بثلاث ليرات ، أو بخمس ، أو بعشر هل أخذنا نحن منك شيئا ؟!» ٠

وأخذ المسافر يجرى وراءه ، وهو يمضى بحقيبته مسرعا ، حتى بلغ الباص٠

وفى يوم آخر ، قدم أحد المسافرين لحمال آخر تذكرة الحمولة ، فنظر فيها الحمال ، ثم سأله باشمئزاز :

«كم حقيبة معك ؟!»

«أربـــع» ٠

فقال الحمال على الفور ، بلهجة حازمة :

«تدفع لى خمس ليرات» ٠

بهت المسافر ، ثم قال مستنكرا :

«ولكنى دفعت ثمن تذكرة الحمولة عشر ليرات؟!» ٠

فأجاب الحمال :

«اذا لم يعجبك ، فاحملها بنفسك» ٠

دهش المسافر ، ثم أضاف مهددا :

«سأشكو الامر الى المدير» ٠

فضحك الحمال ساخرا ، ثم قال :

«جرب ذلك ، سترجع بالخيبة ، ولن أحملها لك بعد ذلك ، كما لن يحملها غيرى ، ولو دفعت مئة» .

وهم الحمال بالمضى ، ولكن المسافر ناداه ، معلنا موافقته ، فأجابه :

«ادفع أولا» .

ونقده المسافر خمس ليرات ، وهو يقول ضائقا :

«أين أنت يا «شحمو» ؟!» .

فأجابه ساخرا ، وهو يضحك :

« «شحمة» مات ، فطس» .

ثم نقل الحمال الحقائب ، الى الباص ، وقعد المسافر فى موضعه منه ، ومن وراء زجاج النافذة ، أطل على رصيف مركز الانطلاق ، حيث كان المسافرون والحمالون والباعة ، يتحركون فى ضجيج وصخب وفوضى ، وأدام النظر فى الجميع ، ثم زفر ، كأنه يبحث فيهم عن «شحمو» أو عن شبيه به .

ثم تحرك الباص ، وانطلق ، وحل فى موضعه بـاص آخـر ، لاستقبـال المسافرين ، وفى رصيف مركز الانطلاق ما تزال حركة المسافـرين والباعـة والحمالين ، فى فوضى وجلبة وضجيج .

أحمد زياد محبك

الـفـهـــــرس

فهرس العدد الثالث (جويلية 1985) المجلد السابع عشر

تصدير ..... قصص 3

المتفقد ..... محمود بلعيد 5

البحث عن الأفكار الضائعة ..... عروسية النالوتى 13

آخر المعزين ..... التابعى الأخضر 16

سراية جنب السراى ..... عبد الله القويرى 20

البرنس الذى نسجته لى جدته بعد موتها .. سمير العيادى 41

من يوميات مواطن صالح جدا ..... يوسف سلامه 49

قريتنا والزمن الذى يمضى ..... أحمد ممو 53

ويعود الحب ..... محمد الخموسى الحناشى 71

رجل بين المسافرين ..... أحمد زياد محبك 97

قـصـــص متـــرجمـة

احتضار ..... تعريب: أبو بكر العيادى 83

دراســـــات

قراءات فى مجموعة « ويبقى السؤال » ..... مندوب قصص 25

قراءة فى العدد الماضى ..... محمد بن رجب 62

تم طبع هذه المجلة بمطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم

تـحـت عـدد 779 / 85 ـ الايـداع القـانـونى 3 / 85